الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي -

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية **قسم العلوم الإنسانية**

الإصلاحات بجامع الزيتونة وردود أفعال الطلبة منها (1842 – 1938م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالب: معراج عازب عثمان

إشراف الدكتور: د. موسى بن موسى.

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتساب
أ. د. محمد السعيد عقيب	أستاذ	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر
د. موسى بن موسى	محاضر – أ –	مشرفاً ومقرراً	جامعة الشهيد حمه لخضر
أ. محمد الحاكم بن عون	أ. مساعد – أ –	عضواً مناقشاً	جامعة الشهيد حمه لخضر

السنة الجامعية: 2019/2018.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ
نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ
فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ
مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ
يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ
عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة النور، الآية 35

شـــكروعرفـــان

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على الرحمة المهداة وعلى اله وصحبه ومن والاه .

الحمد لله في الأول والآخر , الحمد لله في الضراء قبل السراء .

الحمد لله على كل حال , الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس »

الشكر لمن يستحق الشكر بحق , لك الشكر ربي أن وفقتنا لسلك درب العلم وأنرته لنا .

الشكر **لأبي** العزيز ... **وأمي** الحنونة ... على تشجيعهما ودعمهما ودعاءهما لي .

الشكر **لزوجتي** الغالية ... **وأبنائي** الأعزاء ...على تفهمهم ودعمهم وصبرهم معي .

الشكر الجزيل إلى من أعطانا من جهده ووقته الكثير , الذي تفضل علينا بقبول الإشراف على هذا العمل , إلى من وجدناه أسوة , للمشرف الدؤوب الذي مد لنا يد العون لإتمام هذا البحث المتواضع د. **موسى بن موسى** .

كما أتقدم بخالص شكري وتقديري للسادة **أعضاء لجنة المناقشة** على تفضلهم بمناقشة هذه المذكرة وإثراءها بآرائهم السديدة وملاحظاتهم العلمية القيمة .

وأدين بالفضل والعرفان إلى كل **أساتذتي** الذين تعلمت على أيديهم وأناروا لنا الكثير من دروب العلم والمعرفة جعلها الله في ميزان حسناتهم .

و في الختام نسأل الله العلي القدير أن يوفقنا جميعا لما يحبه و يرضاه

معراج

إهـــداء

بعد الثناء على الله لإتمام هذا العمل أهديه إلى :

من ربياني صغيرا وسهرا وكدا من أجلي، **والديا** الكريمين حفظهما الله تعالى.

زوجتي وأبـنائي الغاليين

إلى جميع أفراد عائلتي الأحبة

إلى كل الأحبة و الأصدقاء و الزملاء بالدراسة

إلى الدكتور الوفي موسى بن موسى

إليكـــم جميعا أهدي ثمرة عملي المتواضع...

عـازب عشان معراج

قائمة المختصرات

د. ت	دون تاريخ
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعريب
تق	تقديم
ج	جزء
الخ	إلى آخره
د. ط	دون طبعة
د. م	دون مكان الطبع والنشر
ص	الصفحة
ص ص	تعدد الصفحات
ط	الطبعة
ط. خ	طبعة خاصة
ع	العدد
ق	القرن
م	التاريخ الميلادي
هـ	التاريخ الهجري

مقـــدمـــة

عرفت تونس خلال القرن 19م تحولات شملت جميع المجالات، نتيجة عوامل داخلية وأخرى خارجية ساعدتها على النهوض، ومواكبة التطورات الحديثة. وكان الميدان الفكري ابرزها، حيث انبعثت حركات ثقافية قومية تنادي بضرورة الإصلاح وبعث تعليم قومي عصري، والاهتمام بالحركة العلمية .

لقد كان الجامع الاعظم أحد المراكز الحضارية الهامة، حيث لعب دورا رياديا في ميدان تعليم الاجيال، وتخريج العلماء الأفذاذ، حتى في العصور الغابرة، ناهيك على أن العلامة عبد الرحمان ابن خلدون تتلمذ فيه ودرس فيه، وكان في طليعة المؤسسات التعليمية في المغرب الاسلامي خلال القرنين (8 – 9 هـ / 14 – 15 م)، إلا أنه ما لبث أن شهد جمودا فكريا وتكلسا ثقافيا بسبب التقليد، وغلق باب الاجتهاد وهيمنة بعض كبار الشيوخ المحافظين والحواشي.

إن مسألة إصلاح الزيتونة شكلت عنصرا أساسيا من عناصر قضية الإصلاح العامة، التي شغلت السلطات التونسية من جهة وسلطات الحماية من جهة اخرى، بالإضافة إلى النخبة التونسية. وقد جاء عنوان بحثنا كالآتي :

الإصلاحات بجامع الزيتونة وردود أفعال الطلبة منها 1842 – 1938م

– اشكالية البحث :

عرف جامع الزيتونة محاولات إصلاحية متلاحقة بداية من سنة 1842م إلى سنة 1938م، وللوقوف على جوانب هذه الإصلاحات طرحت الإشكالية الآتية :

– ما طبيعة الإصلاحات بجامع الزيتونة خلال الفترة الممتدة ما بين (1842 – 1938م)؟ وما حجم ردود أفعال الطلبة؟

وحتى نستطيع الإجابة عن الإشكالية لا بد من الوقوف على الأسئلة الآتية :

– ما هي الأسباب التي استدعت الى التفكير في الإصلاح سنة 1842م؟

– ما هي أهم مشاريع الإصلاح بجامع الزيتونة من 1883م إلى 1938م؟

– ما هي أهم جوانب اتجاهات الإصلاح، وتنازع التقليد والتجديد من خلاله منذ 1883م إلى 1938م ؟

– **دواعي اختيار الموضوع :**

إن اختياري لهذا الموضوع يرجع إلى الأسباب الآتية :

– نقص الدراسات المعمقة والمتخصصة في هذا المجال، ولهذا أردت إضافة عمل أكاديمي لإثراء رصيد المكتبة.

– اختياري موضوع الاصلاح بالزيتونة لأهمية الصرح، وما يقدمه من خدمات تعليمية تثقيفية تؤسس للقيم الحضارية للأمة الإسلامية.

– كما أن هذا الاختيار يندرج ضمن السعي للوصول إلى مزيد التعريف بدور الجامع الأعظم الرائد في مجال التعليم، ونشر الفكر الديني المستنير، الذي عُرفت به تونس.

– زيادة أنه يدخل ضمن نطاق تخصصنا، تاريخ المغرب العربي المعاصر.

– معرفة المزيد من الحقائق الخفية عن الإصلاحات والتعليم بالجامع المعمور بتونس.

- **حدود البحث :**

سبب اختياري لسنة 1842م يرجع إلى معرفة أولى الإصلاحات التي حدثت بالجامع، والمتمثلة في إصلاحات أحمد باي وخير الدين باشا. أما سنة 1938م بداية التأزم العالمي الذي أفضى إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية، وما نتج عنها من توقيف لمسار النشاطات المختلفة بما فيها التعليم بجامع الزيتونة.

- **مصادر ومراجع البحث :**

قد اعتمدت على مجموعة من المصادر و المراجع التي تناولت الموضوع و نذكر منها:

- كتاب **أليس الصبح بقريب** لمحمد الطاهر بن عاشور، حيث يعتبر من المصادر الهامة.

- كتاب **جامع الزيتونة المعلم و رجاله** لمحمد العزيز ابن عاشور.

- كتاب **الزيتونة والزيتونيين** لمختار العياشي.

- كتاب **الطلبة الجزائريون في جامع الزيتونة 1900-1956**، ج1، ج2 لشترة خير الدين.

- كتاب **الحركة الطالبية (1927 م – 1939 م)** لمحمد ضيف الله.

- **خطة البحث :**

إن معالجة الموضوع تقتضي اتباع خطة قسمت حسب المادة العلمية المتوفرة إلى مقدمة، وفصل تمهيدي تناولت من خلاله نبذة تاريخية عن جامع الزيتونة من حيث النشأة والتسمية ، كما تناولت فيه الدور الحضاري لجامع الزيتونة، وجاء بعنوان :

جامع الزيتونـة : أصول النشأة والدور الحضاري، أما الفصل الأول فجاء بعنوان : **التعليم والطلبـة الزيتونيين بالجامع الأعظم،** ويحتوي على مبحثين، الأول تناولت فيه التعليم بجامع الزيتونة من حيث المناهج وطرق التدريس، وكتب الدراسة، بالإضافة إلى أولى الإصلاحات بجامع الزيتونة في الفترة ما بين (1837 – 1877)التي مست التعليم، والثاني تناولت فيه الطلبة الزيتونيون وأوضاعهم العامة بالجامع الأعظم.

أما الفصل الثاني جاء بعنوان : **الإصلاحات بالزيتونة وردود الأفـــعال خلال المدة الممـــتدة ما بين (1881م – 1910م)**، ويحتوي على مبحثين، الأول عنوانه : **التعليم العربي بتونس وسياسة الحماية ومشروعها الإصلاحي الأول لجامع الزيتونة (1881 – 1910م)**، والثاني : **ردود الأفعال تجاه الإصلاحات في الفترة الممتدة ما بين (1881 – 1910م)، والفصل ثالث** عنون بـ : **إصلاح التعليم في جامع الزيتونة خلال الفترة الممتدة ما بين (1912–1938)**، وبه مبحثين، أولاهما : **اصلاح التعليم في جامع الزيتونة ما بين (1912 – 1924م)**، وثانيهما: **إصلاح التعليم الزيتـــوني خـــلال الفترة المـــمتدة مـــا بيـــن (1930 – 1938م) وخاتمة** عبارة عن مجموعة من النتائج، التي تعتبر استنتاجات للإجابة عن التساؤلات المطروحة حول موضوع البحث **وملاحق.**

– المنهج المتبع في الدراسة:

إن الإلمام بالموضوع يوجب الاعتماد على المنهج التاريخي في معرفة الأحداث التاريخية والتطورات الحاصلة خلال الفترات الزمنية التي مر بها الموضوع ، و يتخلله المنهج الوصفي في وصف مختلف الأحداث والوقائع التاريخية كوصف التعليم والأوضاع العامة للطلبة بالجامع، بالإضافة إلى وصف مشاريع الإصلاح، والمنهج الاحصائي و يتمثل في إحصاء الطلبة الزيتونون بالجامع الأعظم بين سنتي 1910 –

1939م بالإضـافة إلـى توزيـع الطلبـة داخـل الفـروع و علـى مختلـف درجـات الـتعلم بالجامع الأعظم.

- **الصعوبات والعراقيل :**

إن أي عمـل بحثـي تكتنفـه صـعوبات وعراقيـل حتـى ينجـز فـي أبهـى حلـى، وذو موضوعية علمية، ومن ابرز هذه المصاعب :

- عامل الوقت، مقابل المسؤولية الملقاة على عاتقي.
- قلة الدراسات المتخصصة، والمعمقة في هذا الموضوع.
- قلة المصادر والمراجع التي تناولت موضوع الإصلاحات بالزيتونة.

كما لا يفوتني هنا أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني في انجاز هذا العمل المتواضع من قريب أو بعيد، واخص بالذكر الدكتور " موسى بن موسى " المشرف على هذه المذكرة عرفانا لمجهوداته في تصحيح ما وقع في هذا البحث من خلل وتوجيهه لي، كما اعتذر عن كل نقص لأن الكمال لله وحده.

الوادي في : 16 جوان 2019

معراج عازب عثمان

– الفصل التمهيدي –

جامع الزيتونة : أصول النشأة والدور الحضاري

أولا – أصول نشأة الجامع الاعظم (الزيتونة)

ثانيا– الدور الحضاري لجامع الزيتونة

أولا – أصول نشأة الجامع الاعظم (الزيتونة):

جامع الزيتونة منارة حضارية، حيث يعد جامعا من أقدم الجوامع التي شيدت في بلاد المغرب العربي وشمال إفريقيا، ذلك أن الفاتحين أولى اهتماماتهم أثناء فتحهم لإقليم جديد هو اقامة مسجد ليكون قاعدة لحكمهم وملكهم ودينهم[1]، وأقيم جامع الزيتونة وكان موقعه بالعاصمة تونس، وأن جامع الزيتونة أسس منذ فتحت تونس، فصار قلعة من قلاع الإسلام[2].

أما المؤسس الأول للجامع فقد اختلف المؤرخون حوله، فمنهم من يرجعه إلى حسان بن النعمان الغساني باعتباره الفاتح الأول لإفريقية؛ أي تونس، وذلك سنة 79هـ – 668م، لكونه صاحب الحضوة، و بإعتباره كذلك زعيم تلك الحركة المباركة لنشر الدعوة الاسلامية[3].

حين نجد البعض الآخر من المؤرخين يرجعون تشييده إلى عبيد الله ابن الحبحاب وعلى رأسهم رأي ابن خلدون في كتابه العبر في قوله : « ويعتقد أن عبيد الله ابن الحبحاب هو الذي أخط هذا الجامع لما كان واليا على افريقية[4]. ». ويؤيد هذا الرأي عبد الحميد سعد زغلول في ذكره : « أن ابن الحباب قدم إلى افريقية في شهر ربيع

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مج 5، دط، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ص 404 .

[2] الشاذلي النيفر: " جوانب من حياة ونضال الفقيد محمد الصادق بسيس "، **مجلة الاصالة**، ع 70–71 ، جوان، جويلية 1977 ، ص 117.

[3] محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، تح، الساحل جمادي والحيلالي بن حاج يحيى، ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986، ص 286

[4] محمد بن عميرة: **الفتح الإسلامي لبلاد الغرب**، د ط، الجزائر،2008، ص 131 .

الثاني من سنة 116 هـ / 735م، إذ اعتنى بعمران مدينة تونس وينسب لها بناء مسجدها الجامع الذي عرف فيما بعد بمسجد الزيتونة[1]».

أما صاحب الكامل في التاريخ؛ أي ابن الأثير فيعتبر أن عبيد الله ابن الحبحاب قدم إلى افريقية في هذه السنة 735م[2]، في حين أرجع شوقي الجمل إلى أن عبيد الله بن الحبحاب قدم إلى إفريقية عام 116هـ – 735م، حيث أن عبيد الله توجه إلى بلاد السوس والصحراء الكبرى، وأرض السودان وشيد جامع الزيتونة بتونس، كما جدد دار الصناعة، التي كانت تزود الاسطول الاسلامي بالسفن الحربية[3].

وذكر ابن دينار في كتابه المؤنس : « أن حسان ابن النعمان فتح تونس واتخذ بها مسجدا، وهو الجامع الاعظم، وسمي بجامع الزيتونة، ثم عاد وقال ابن الشماع جامع الزيتونة مليح الصنعة حسن الموضع مطل على البحر بناه عـبيد الله ابن الحـبحاب[4]. »، ثم وازن بين القولين، وقال : « حسان ابن النعمان، هو الذي فتح تونس وبنا بها مسجدا، وعبيد الله ابن الحبحاب زاد ضخامته[5].»

وهذا الرأي الذي جاء به ابن دينار أيده المؤرخ محمد ابن الخوجة في كتابة صفحات من تاريخ تونس حين ذكر : « أن حسان ابن النعمان هو الذي بناه، والأمير عبيد الله بن الحبحاب والي افريقيه، قام بتوسعة الجامع وأحكام وضعه[6].»

---

[1] عبد الحميد سعد زعلول: **تـاريخ المغرب العربـي من الفتح إلـى بدايـة عهد الإستقلال**، ج 1، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2003 ص55 .

[2] ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، مج 05، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1965 ص 185 .

[3] شوقي عطا الله الجمل، **المغرب العربـي الكبير فـي الحديث (ليبيـا، تـونس، الجزائـر، المغرب)**، ط 1، مكتبـة الأنجلو مصرية ، القاهرة 1977 ، ص 11

[4] ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار إفريقيـة وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحضارتها المحنية، تونس، 1682م، ص 09 .

[5] نفسه، ص 10.

[6] محمد بن الخوجه: المصدر السابق، ص 288.

أن تسمية هذا الصرح والمعهد الجليل " الجامع الأعظم " تعود نسبه للشجرة المباركة، فقد أقر المؤرخون حسب قول بن الخوجة، أن موقع الجامع كانت به زيتونة قريبا من موقع الصومعة، التي كان يتعبد بها راهب نصراني، وعند نزول المسلمين الأولين بتونس، وتلك الصومعة كان موقعها حيث صومعة الجامع لهذا الزمان[1]. وقال ابن الشباط : « وجدوا زيتونة متفردة في موضع المسجد فقالوا هذا تونس وسمي الجامع بجامع الزيتونة[2].»

ومنه فجامع الزيتونة صرح من الصروح الحضارية التي اتسمت بالطابع الإسلامي انطلاقا من دوره التعبدي، والماثل في كونه مسجدا جامعا، ثم ما لبث أن صار مؤسسة علمية خاصة في العهد الحفصي، ثم العثماني والتركي.

ثانيا– الدور الحضاري لجامع الزيتونة :

إن المؤسسات الحضارية في ربوع البلاد الإسلامية لا تفتأ أن تلعب أدوارا حضارية انطلاقا من أهميتها تبعا لمجالات الحياة اجتماعيا أو اقتصاديا، أو ثقافيا أو سياسيا، وجامع الزيتونة الأعظم لم يكن ليتبوأ المكانة الريادية والعالمية ذات البعد الإسلامي لو لا أنه كان قبلة لطالبي العلم، فقد اصطبغ بصبغة الجامعة الحاضنة لعديد الطلبة، خاصة طلبة بلاد المغرب حديثا، والغرب الإسلامي من قبل القرن 9ه / 15م.

منذ تأسيس الجامع الأعظم وتثبيته كمركز للتدريس، صار جامع الزيتونة يلعب دورا هاما في نشر الثقافة العربية الاسلامية في بلاد المغرب، حيث يقول الشيخ أحمد الشريف السنوسي أحد المتمدرسين به واصفا الزيتونة سابقا على أنها : « لم تزل كلية

[1] محمد بن الخوجة، المصدر السابق، ص 84.

[2] ابن أبي دينار: المرجع السابق، ص10.

الزيتونة منذ أوائل القرن الثاني[1] كعبة القاصدين ومركز الثقافة العربية الاسلامية والملقنة المبادئ التي عليها يرتكز هيكل الشعوب الافريقية، وعليها تبني ذاتيتها، وفي مهدها ترعرعت النهضات الأدبية التي شملت ربوع شمالنا الافريقي[2]».

هنا نلاحظ أن هذه الجامعة تأسست على تقوى من الله ورضوان، فهي أول مؤسسة، بل مدرسة فكرية بإفريقية؛ أي تونس قد آلت على كاهلها أشعاع الروح العلمية بأبعاد جديدة ذات منهج حديث في تتبع المسائل نقدا وتمحيصا، وطريقة تدريس مثلى في تحصيل العلم، ومن أبرز من ذاع صيته في هذه المؤسسة العلمية هو " علي بن زياد " مؤسسها ، و"أسد بن فرات"، والإمام " سحنون " صاحب المدونة على الفقه المالكي[3].

ويجمع الباحثون الدارسون أن جامع الزيتونة له دور حضاري، مهم منذ القديم وحتى الحديث، فلم ينحصر أثره على تونس فقط، بل تجاوزه وتعداه إلى خارجها من بلاد المغرب العربي إقليميا، والعالم العربي الإسلامي، فهو الصرح الديني والمؤسسة الثقافية والجامعة، وفيه يقول الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة : « ان هذا الجامع الأعظم لهو المهد الديني الذي أقيم أكثر من اثنى عشر قرنا بدافع قوى من العزيمة الاسلامية ليكون مع القيروان في هذه الربوع مركز من مراكز إشعاع المبادئ الاخلاقية والقيم الحضارية[4] ».

---

[1] ويقصد أحمد الشريف القرن 2هـ. أنظر أحمد الشريف السنوسي، " الطلبة الجزائريون والزيتونة "، **جريدة البصائر**، السلسلة الثانية، ع 47 بتاريخ الاثنين 1948/08/30، ص02.

[2] نفسه، ص 20.

[3] إلياس حموده: " الجامع المعمور "، **مقال إلكتروني**، الموقع http://pikord.com/media ، يوم 09 جوان 2019، الساعة 19 : 10.

[4] لطفي حجي: **بورقيبة والاسلام**، ط1، دار الجنوب للنشر، تونس، طبع في المجموعة الموحدة، مجموعة الشراس، ديسمبر 2006، ص45.

وما ميز هذا الجامع عن غيره كجامع " الأزهر "، هو انتهاج واتباع طرق تدريس ومناهج متطورة تشمل علوم اللغة وعلوم الدين والفقه، ما جعل منه جامعة بمعنى الكلمة، كما استطاع أن يوسع مجال عمله الحضاري، فلم ينحصر في تلقين علوم المقاصد والوسائل، والعلوم الأخرى، وإنما كان له دور مهم في الحفاظ على الهوية الحضارية الاسلامية العربية، والعمل على ترسيخها، رغم المكائد والدسائس التي كانت تحكاك له من طرف سلطة الحماية الفرنسية، فقد ساهم جامع الزيتون في تخريج نخبة من العلماء والمصلحين، والإصلاحيين المنورين والمجتهدين، الذين ذاع صيتهم في أسقاع الدنيا أمثال: ابن خلدون، "محمد بيرم الخامس، محمد الخضر حسين، سالم بوحاجب، محمد الطاهر بن عاشور، عبد العزيز الثعالبي، وغيرهم من الإصلاحيين ورواد النهضة الفكرية، بفضل هاته النخبة احتل جامع الزيتونة مكانة علمية خاصة منذ العهد الحفصي الى عهد ما قبل تعطيل التدريس به[1]، خاصة عهد الرئيس الحبيب برقيبة.

وهكذا كان الجامع الزيتونة الأعظم أول الصروح العلمية، والمؤسسات التعليمية مولدا بعد القيروان، وأعرقها في التاريخ عهدا، وقد حمل مشعل الثقافة العربية الإسلامية اثنى عشر قرنا ونصف القرن، بلا توقف وانقطاع، ولا انفصال، كرس كل جهود معلميه من خلال تدريسهم للعلوم بجميع فروعه واختصاصاته، وظل على مد العصور منارا وهاجا للتعليم، والبحث والاستنباط، فتخرج منه الفقيه والأديب واللغوي، وتفرع من دوحته الزيتونية المباركة أغصان علم وفلسفة، زانوا الثقافة البشرية في المغرب والمشرق. وفي العصر الحديث، أي القرن الرابع عشر هجري القرن العشرين ميلادي، وهكذا وقف الجامع الزيتونة الأعظم حصنا، ودرعا واقية، وصرحا شامخا، أمام الغزو الثقافي والفكري والغربي، خاصة الفرنسي، وحفظ الأمة التونسية والبلاد

[1] حسونة المصباحي: مكانة جامع الزيتونة في التاريخ التونسي، **جريدة العرب الثقافي**، الخميس 2009/05/28م.

المغاربية هويتها وعروبتها، وإسلامها، كما بات أكبر جامعة إسلامية عرفها المغرب العربي بأسره، فتخرج منه نبغاء عاملون، وفطاحلة أفذاذ مصلحون، أضاءوا وأناروا وجه تونس والمغرب العربي، وكانت لهم الصدارة المقبولة بعدئذ في الكفاح السياسي، والكلمة المستساغة والمسموعة، والحظوة والوزن المحترم، فكان منهم كبار الوزراء وعظماء الكتاب، ومشاهير الحكام ورجال الصحافة والاقتصاد، وعليهم قامت الدولة التونسية المعاصرة بعد استقلالها من الاحتلال الفرنسي، وما من عائلة تونسية، أو جزائرية، إلا ولها صلة وثيقة بجامع الزيتونة الأعظم، فقد يكون أحد أفرادها أو أقربائها درس بالزيتونة[1].

ومنه فإن العبق الحضاري الذي حضي به جامع الزيتونة أهله عبر الأزمنة والعصور أن يكون مؤسسة متكاملة الجوانب في حفظ المقومات الحضارية، التي من خلالها تمتعت بها الأجيال المتعاقبة على ربوع تونس خاصة، وبلاد المغرب العربي عموما.

[1] عامر مريقي: **جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، دراسة تاريخية في مسيرتها النضالية من 1934– 1947م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاسلامية، اشراف د. ميلود عويمر، قسم اللغة والحضارة الاسلامية، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 2011/2010، ص 67.

– الفصل الأول –

التعليم والطلبة الزيتونيون بالجامع الأعظم

المبحث الأول: التعليم بجامع الزيتونة

أولا – علوم ومناهج وبرامج جامع الزيتونة

ثانيا – نظام الامتحانات وطرق التقييم

ثالثا – المدرسون والتلامذة

رابعا – إصلاح التعليم بجامع الزيتونة خلال الفترة الممتدة ما بين (1837 – 1877م)

المبحث الثاني: الطلبة الزيتونيين بالجامع الأعظم خلال الفترة الممتدة ما بين (1842 – 1938م)

أولا – التحولات الطارئة على الأمور التنظيمية للتلاميذ والطلبة المنتسبين لجامع الزيتونة

ثانيا – مدارس سكنى الطلبة: النشأة والتسيير

ثالثا – تدهور أوضاع الإيواء بمدارس سكنى الطلبة

رابعا – الوضع المادي للطلبة

المبحث الأول: التعليم بجامع الزيتونة

يعتبر جامع الزيتونة أرفع المؤسسات التعليمية والتعبدية الإسلامية، وهو أحد أقدم المساجد وأشهرها، غير أن شهرته لم يكن يستمدها من طابعه الديني فقط، بل من دوره العلمي والتعليمي والثقافي، الذي اشتهر به، فقد كان مكانا للتعليم تُلقى فيه الدروس على اختلاف مواضيعها واختصاصاتها وأنواعها[1].

أولا – علوم ومناهج وبرامج جامع الزيتونة

إن العملية التعليمية والتعلمية التي يشترك في إنجاحها كل من المعلم والمتعلم، والمناهج والبرامج التعليمية، ومن هنا سوف نقف العنصر الثالث المتمثل في: العلوم ومواد التدريس، والمناهج والبرامج المتبعة في العملية التعليمية.

1- العلوم والمواد التي تدرس بالجامع الأعظم

إن التعليم في الزيتونة لا يختلف عن باق المؤسسات التعليمية بالعالم الإسلامي، فهو يقوم أساسا عن القرآن والسنة[2]، والمقصد منه تعليم أبناء المسلمين. والعلوم التي تدرس بالجامع الأعظم، هي العلوم النقلية والعقلية؛ فالعلوم النقلية تتمثل في الشريعة وعلومها المختلفة، والعقلية فتشمل العلوم الوضعية من أدب وفلسفة، وتاريخ وجغرافيا، وحساب وفلك، وغيرها من العلوم.

[1] فاطمة مناد وأحلام غازي: **جامع الزيتونة ودوره التعليمي والسياسي**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ، اشرف عبد الرحمان التونسي، قسم العلوم الإنسانية، كليه العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلاني بونعامة، خميس مليانة، 2016/2015، ص 53.

[2] سمير أبو حمدان: **موسوعة عصر النهضة** خير الدين التونسي، د ط، دار الكتاب، توني، 1993، ص 17.

أ- العلوم الوضعية:

النحو، اللغة، المعاني، البيان، الأدب، الشعر، آداب الحديث، المنطق، التاريخ، الجغرافيا، الحساب، المساحة الهيأة، وسائر الصناعات، غير أن هذه الاخيرة كانت تدرس في ملحقة خارج الجامع، فهي بجانبه عرفت بالخلدونية[1].

ب- علوم الشريعة:

والعلوم الشرعية المدرسة بجامع الزيتونة تتمثل في :

- تفسير القرآن.
- الحديث وعلومه.
- التوحيد والعقيدة.
- الفقه والفرائض.
- علم الكلام والمنطق.
- التصوف[2].

2 - مناهج وطرق التدريس بالجامع الأعظم:

إن المناهج وطرق التدريس التي يسير عليها التعليم بجامع الزيتونة ترتكز في الأساس على طريقة الاختيار بحيث يختار المدرس ما يشاء من المواد، والأوقات والمراتب وعدد الدروس، والتلاميذ بدورهم يختارون المدرس، ومقدار الدرس حسب ما

[1] - محمد بن الخوجة: المصدر السابق، ص 292.

[2] - محمد العزيز ابن عاشور: **جامع الزيتونة المعلم و رجالة**، د.ط، دار سراس، تونس 1991، ص 95.

يحتاجونه، ولقد ترتب عن هاته الطريقة ضعف مواد وتفاوت تلامذة المرتبة الواحدة فيما يسعون إلى تحصيله من دروس[1].

أما عن كيفية وطريقة إلقاء الدروس بالجامع، فتتمثل في جلوس المدرس مستندا إلى سارية؛ أي أسطوانة من سرايا الجامع العديدة، ويحيط به التلاميذ في شكل حلقة مستديرة، أو هلال، ويمكن أن تتعدد الحلق، وغالبا ما يكون جلوس التلاميذ في هذه الحالة على شكل أهلة ليتمكنوا من النظر للمعلم المدرس حسب عدد التلاميذ، فيقرأ عليه المدرس أو يكلف أحد التلاميذ بالقراءة، والمعلم يستمع، ثم يعلق ويشرح، والطلبة يكتبون ما يرون في أنفسهم حاجة إلى تقييده[2].

وكانت حالة الحلق مساعدة على تحقيق التواصل التام بين المدرس والتلامذة، كما كان تكليف التلامذة بالقراءة مطلوبا لتشريكهم في النقاش والحوار وجلب انتباههم، والمدرس لا يكتب له النجاح في دروسه إلا إذا كان له صوت قوي جهير، لأنه لا يلقي وحده في الدرس في الجامع، بل يشاركه في إلقاء الدروس في وقت واحد عدد كبير من المدرسين، لا يبعد بعضهم عن بعض كثيرا، وإذا دخلت الجامع أثناء إلقاء الدروس سمعت أصواتا مختلفة وضوضاء يتحملها التلاميذ، يتعودون عنها بمرور الزمن[3].

و إن التدريس عملية مركبة من عناصرها الطرق والمناهج، هذا يفرض على المؤسسات التعليمة اتباع طرق تدريس، وانتهاج مناهج تميز كل مؤسسة من المؤسسات التعليمية عن غيرها، وجامع الزيتونة له طرق ومناهج يمكن الوقوف عليها من خلال الآتي :

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: **أليس الصبح بقريب**، التعليم العربي الاسلامي، ط3، دار سحنون، تونس، 2010، ص 131.

[2] نفسه، ص 132.

[3] محمد الطاهر الرويس: **ذكريات طالب زيتوني**، تق، تن، د، منير رويس، ط 1، مكتبة تونس، 2015، ص 26 .

أ – طرق التدريس:

إن جامع الزيتونة تميز في تدريسه على طريقة تدريس موحدة تمثلت في الطريقة الإلقائية؛ أي يلقي المدرس درسه على التلاميذ كإلقائه محاضرة من المحاضرات بلغة عربية سليمة من الأخطاء، ولا يستعين أثناء إلقاء درسه بمذكرة أو بالكتاب، الذي يشرحه، فهو مطلع على ما سيعرفه، ما سيشرحه. فهو حافظ له، كما قد حقق مسائله ووعاها مسبقا، فهو لا يحتاج الى مذكرة تعينه أثناء إلقاء درسه، ومن احتاج إلى النظر في الكتاب، فهو مدرس مبتدئ، وإن سبق له التدريس لمدة زمنية معتبرة عُدَّ مدرسا ضعيفا فاشلا في عرف الزيتونيين، ودور التلاميذ أثناء الدروس الإصغاء إلى شيخهم بانتباه، وفي آخر حصة الدرس يكلف تلميذ بقراءة الفقرة التي هي موضوع درس شيخه للتطبيق، ويسمح لمن لم يفهم الدرس يستفسر شيخه عما لم يتوصل إلى فهمه، وفي حصة الدرس الموالي من الغد يختبر المدرس بعض التلاميذ في المعلومات التي قدمت لهم سابقا، كما يختبرهم في حفظهم لمتن ذلك الدرس العلمي[1].

وهذه الطريقة في التدريس قديمة تقليدية، قد ورثها المدرسون عن مشائخهم ولا يريدون بها بديلا، وقد أكسبتهم قدرة على الارتجال بالعربية الفصحى، وهم ماهرون في فن الخطابة، ونستطيع أن نصفهم بأنهم خطباء بلغاء، والتلاميذ متأثرون بهم يقلدون في طريقة إلقاء دروسهم ولا ينجحون إلا بإلقاء درس علمي على طريقتهم[2].

ويقول الشيخ الطاهر بين عاشور : « ولإيجاد الدروس بالجامع طرائف أربع[3]» هي:

الطريقة الأولى: أكثرها وقوعا طلب التلامذة من الشيخ اقراء كتاب يعينونه.

[1] محمد الطاهر الرويس، المصدر السابق، ص 40 .

[2] نفسه، ص 41 .

[3] محمد العزير ابن عاشور: المرجع السابق، ص 100 .

الطريقـة الثانيـة: طريقـة الانتقـال التـدريجي لمـن يخـتم كتابـا ويشـرع فيمـا هـو أرقـى لانهم أيضا يترفون مع الكتاب .

الطريقة الثالثة: اختيار الشيخ كتابا يعرضه على التلامذة في فيجدون لقراءته.

الطريقة الرابعة: اقتراح المشايخ النظارة زيادة دروس ممن يعينونهم لمصلحة وترتيب وقوع هاته المراتب غي الكثرة على ترتيبها في الذكر .

والجدير بـذكر أن هذا الأسـلوب والتوجـه التعليمـي كـان يشـمل المرحـل الـثلاث مـن مستويات التعليم الزيتوني، ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور : « وقد كان تعليم جامع الزيتونة من أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر أن ينعصرو في أسلوب واحد للمراتب كلها وهو أسلوب الالقاء دون تمرين شفاهي ولا كتابي[1]».

أمـا أوقـات الـدروس غيـر مضـبوطة[2] فـي البدايـة والنهايـة ولـذلك ربمـا يرجـع لتداخل الدروس على التلامذة، فقد يرتبون لأنفسهم دروسا متداخلة الأوقات رغبة في تحصيل كلا درسي الشيخين، وأو لقصد التكثير من الدروس لملء دفتر الشهادات[3].

أمـا مـن حيـث مراحـل التـدريس أن تعلـيم الزيتونـة يمـر بمراحـل ثـلاث يتوجـب علـى الطلبة المتمدرسين المرور بها وهي كالآتي:

*** المرحلة الابتدائية:**

وهـي أولـى مراحـل التعليم، حيث يتعلم التلميذ الخط والقراءة والرسم المصـحفي، ثم حفظ المتـون (المرشـد المعين، الاجروميـة، ألفيـة ابـن مالـك)، وتسـتمر الدراسـة فـي

[1] محمد العزير بن عاشور: المرجع السابق، ص 100 .

[2] محمد بن الخوجه: المصدر السابق، ص135.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ص135.

المرحلة الأولى أربعة سنوات كأدنى حد الى ستة أعوام، يدرس ويحصل خلالها التلميذ مجموعة من العلوم الشرعية والعصرية مثل : التوحد، القراءات، علم الحديث، الفقه، فقه الفرائض، الاخلاق، النحو، الصرف، الأدب، وخلاصة من علمي المعاني والبيان[1].

*** المرحلة الثانوية:**

في هذه المرحلة يلقن الطالب الزيتوني تعليمه في الجامع الكبير على عكس الطور الابتدائي، حيث تكون في معاهد أو مدارس تابعة لجامع الزيتونة، وتتكون هذه المرحلة من ثلاث سنوات كأدنى حد الى خمسة أعوام كحد أقصى. يتلقى خلالها الطالب الزيتوني جملة من العلوم : علم التوحيد، القراءات، الحديث، مصطلح الحديث، أصول الفقه، الفرائض فقها وعملا، الاخلاق، السيرة النبوية، النحو، الصرف والبلاغة[2].

وبعد تلقي الطالب لتلك العلوم المقررة خلال هذه المرحلة؛ أي أثناء هاته السنوات الثلاثة يتأهل لإجتياز امتحان ختامي يشمل ما تعلمه في ذلك الطور، ويسمى الامتحان الذي يجتازه بـ" امتحان شهادة التطويع "، ويكون نهاية السنة السابعة غير أن هذا الاسم طرأ عليه تغيير في نهاية الثلاثينيات من القرن 20م، وأصبح يسمى "شهادة التحصيل"، وما إن يستطيع الطالب اجتياز هذا الاختبار بنجاح يكون قد تحصل على شهادة التطويع، وهي ما كانت تعادل شهادة العالمية بالأزهر بمصر، وعلى هذا الأساس يكون الطالب الزيتوني جديرا بمواصلة تعليمه في الطور العلمي الأعلى[3].

---

[1] عدنان البرهومي: **الظروف المادية والأدبية للكتاب الزيتوني . (1881 . 1961)** رسالة ماجستير تخصص تاريخ بجامعة الزيتونة بتونس، إشراف الأستاذ : مختار العياشي، السنة الجامعية 2004 / 2005 م، ص 57.

[2] نفسه، ص 58.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ص 117.

*** المرحلة العليا:**

وهي أعلى مراتب التعليم الزيتوني، حيث يدوم التعليم بها عاما على الأقل واثنان على الأكثر. يعكف الطالب الزيتوني على دراسة بعض العلوم : علم القراءات، التفسير، علم التعليم، الحديث وعلومه، علم الكلام، أصول الفقه، تاريخ التشريع الاسلامي، النحو، البلاغة، اللغة، الأدب التاريخ[1]، تاريخ العرب قبل الإسلام، "، ولا يشترط على الطالب المزاول للدراسة بهذه المرحلة العالية الاشتغال بها جميعا، بل يكتفي بما تدعوه إليه قدراته التحصيلية وهمته، وخاصة التفسير والحديث لعدم أو قلة مزاولتها قبل ذلك، ولقيمة ومكانة ودرجة هاته الشهادة فقد أولتها الإدارة الزيتونية أهمية، حيث خصصت كتبا معينة لكل فن من الفنون التي يدرسها الطالب، ووضعت قانونا عاما لا يجوز مخالفته ولا الاجتهاد فيه[2].

وباجتياز المراحل التعليمية الثلاث يكون الطالب الزيتوني مؤهلا لأن يساهم بما أمكنه في ميدان التعليم والشغل لأنه صار صاحب شهادة عالية. أما الذي لم يسعف في اتمام تلك المراحل فإنه يجتهد لإتمام ما قد فاته من تحصيل، وذلك عن طريق التحصيل الذاتي العصامي.

ب – مناهج التعليم بالزيتونة:

إن الوسائل التربوية والمناهج المتبعة بجامع الزيتونة كان في الأساس تركيز على الحفظ والذاكرة عنوانا للنجابة والتفوق، خصوصا بالنسبة للأمهات الكتب المشهورة في هذا النظام التقليدي كمختصر جليل في الفقه، وألفية ابن مالك في النحو وغيرها من المتون والكتب، وكانت المصنفات والعناوين في الفقه خاصة أو في بعض العلوم

[1] خير الدين شتره: **الطلبة الجزائريون في جامع الزيتونة**،1900– 1956، **البعد العربي الإسلامي في نضال النخبة الجزائرية الزيتونية**، ج2، د ط، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 1131.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ص 117.

المرتبطة به كعلوم مساعدة على فهمه، وقل من كان يجيز إجازة إدارية، بل إجازات السماع التي كثرت واستمرت قصد الحصول على السند العالي[1] عن طريق التواتر.

3 – البرامج وكتب الدراسة بالزيتونية:

إن البرامج والكتب المعتمدة في الدراسة بجامع الزيتونة تكون تبعا لكل مرحة، كما أن البرامج هي في حد ذاتها الكتب المعتمدة. التعليم الزيتوني يعتمد على كتب يتم اختيارها في كل فن من الفنون المقررة تبعا لكل مستوى تعليمي، غير أن تلك الكتب تمثل تعبيرا عن المرحلة المعرفية الأخيرة من مراحل التطور العلمي، وتطغى المواد الدينية واللغوية على البرامج التعليمية بالزيتونة، وتأتي المواد ضمن ما يطلق عليه بالعلوم النقلية، وهي القراءات والتجويد، والتفسير والحديث ومصطلح الحديث، والتوحيد والفقه، وأصول الفقه والفرائض والتصوف. أما العلوم اللغوية فهي النحو والصرف، والبلاغة والاملاء والخط، وهذه المواد اجبارية، كما أن البرنامج يحتوي على مواد أخرى كالمنطق والجبر، والحساب والميقات، والفلك والحكمة؛ الفلسفة، والتاريخ والجغرافيا[2].

وبذلك فإن هذا البرنامج يمتاز بموسوعيته، غير أن بعض تلك المواد بقيت لا تدرس أو ينظر إليها بإستنقاص، من ذلك أن الرياضيات بقيت لا تدرس لعدم وجود محل ملائم لذلك[3]، يضاف إليها عدم استساغة الزيتونيون لنموذج التعليم الحديد المتمثل في الصبورة والطاولة، والصبور بالخصوص، لأنه يمكن الاستغناء على الطاولة بالجلوس

---

[1] محمد فلاح العلوي: **الزيتونة الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي**، (تونس 5 و6 ماي2002) ، أعمال الندوة الدولية الحادي عشر، ط2، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2006، ص35.

[2] محمد ضيف الله: **الحركة الطالبية التونسية (1927 – 1937)**، ط1، منشورات مؤسس التميمي للبحث العلمي، تونس 1999م، ص 97.

[3] الطاهر الحداد: **التعليم الاسلامي وحركة الاصلاح في جامع الزيتونة**، تق وتح محمد أنور بوسنينة، الدار التونسية للنشر، تونس 1981، ص 39.

على الأرض. أما التاريخ فكان يعتبره بعض الشيوخ مجرد " مجموعة من الاقاصيص والأخبار لا ينبغي أن يهتم بها الطالب[1].

وحتى بالنسبة للمواد الدينية لم يكن برنامج التعليم الزيتوني قادرا على تكوين طلبة أكفاء فيها نتيجة عقم الاساليب التي تقدم بها وجهل الأساتذة بعلم البيداغوجيا الحديثة، فكان الواحد منهم يكتفي بسرد ما يجده في الكتاب دون بذل أي جهد اضافي، ولعل طريقة تأليف تلك الكتب التي تعكس درجة التقليد والتكرار، فأقصى ما يقوم به الخلف هو فهم اجتهادات السلف وشرحها، وربما تقديمها ملخصة، ولذلك فإن متون هذه الكتب وحتى شروحها وحواشيها تعود إلى عدَة قرون خلت، فنذكر على سبيل المثال بحسب مراحل الدراسة[2]:

*** المرحلة الابتدائية[3]:**

وفي هذه المرحلة من التدريس يكون لكل مادة برنامج متفق عليه، وهذا كالآتي :

- مادة القراءات:

يحتوي البرنامج على كتابين أحدهما شرح الهادي للجزرية، وهي عبارة عن أرجوزة تتكون من مائة وعشرة أبيات في قراءات القرآن وتجويده.

- مادة النحو:

جرت العادة أن تطلق أسماء كتب النحو أو شروحها على سنوات التعليم الزيتوني، فتسمى السنة الأولى بسيدي خالد، والسنة الثالثة بابن عقيل، والسنة الرابعة بالمكودي. وهي كتب متباينة الشروح يراع فيها أصحابها مستوى المتلقي.

[1] الطاهر الحداد: المصدر السابق، ص 39.

[2] محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص ص 97 - 98.

[3] خير الدين شطره: المرجع السابق، ج2، ص 1129.

*** المرحلة الثانوية[1]:**

وهي مرحلة متقدمة يكون الطالب قد تعدى مرحلة التلتمذ تبعا للسن من جهة، والتحصيل والإدراك من جهة ثانية، وهي برامج تبعا للمواد المدرسة.

- مادة أصول الفقه:

يحتوي البرنامج على كتابين أحدهما تحفة الحاكم في نكت العقول، وهي عبارة أرجوزة معروفة باسم العاصمية. أما الكتاب الثاني في أصول الفقه، فهو تنقيح الفصول في الأصول لشهاب الدين القرافي.

- مادة البلاغة:

يتضمن البرنامج البلاغة ثلاثة كتب أشهرها : مختصر التلخيص لسعد الدين التفتزاني، وهذا الكتاب يعكس الاجترار الذي أصبح يهيمن على الانتاج الفكري العربي الإسلامي، حيث نتج عن ذلك غلق باب الاجتهاد، وهيمنت القوالب والمختصرات والتلاخيص، والحواشي، وذلك لن يحفز الاجيال الجديدة على الانتاج والإضافة والابداع من خلال الابتكار والاستنباط.

- مادة الادب:

يحتوي البرنامج الأدب على كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ومقامات الحريري.

إن الكتب التي تدرس بمراحل التعليم الزيتوني الثلاث دون مراعاة للتطور الذهني للتلميذ والطالب، ومن بينها كتابان في علم الكلام و هي: جوهرة التوحيد (قصيدة ألفها القاني و شرحها ابراهيم الياجوري) و عقيدة أهل التوحيد لمحمد السنوسي (في ثلاثة أجزاء و خصص كل جزء لمرحلة تعليمية)[2].

[1] خير الدين شتره: المرجع السابق، ج2، ص 1129.

[2] محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص 100.

لقد كانت أغلب الكتب الدراسية الزيتونية تعود إلى عدة قرون خلت، وحتى من مؤلفيها، فإنهم لا يمثلون كل المدارس الفقهية أو الأدبية فيتخرج الطالب وهو لا يعرف شيئا عن كبار المفكرين الاسلاميين[1] مثلا كالنظام والعلاف والأشعري وابن القيم الجوزية وابن تيمية فضلا عن مؤلفات المعاصرين كمحمد عبده واضافة الى هدا النقص فإنه لا يطلب من الطالب سوى الفهم والحفظ، ومن الأستاذ الالقاء دون الاستعانة بأية وسيلة من وسائل الايضاح كالسبورة والخرائط بالنسبة للجغرافيا والتاريخ لأن هذه التجهيزات لا يمكن استعمالها في بيت الصلاة، مما جعل التعليم الزيتوني ذا صبغة تجريدية ونظرية بحته ولا شك أن ذلك لا يساعد الطلبة على الاستيعاب خاصة وأن ظروفهم الدراسية كانت صعبة[2].

ثانيا – نظام الامتحانات وطرق التقييم:

إن نظام الامتحانات وطرق التقييم تخضع لمستويات ومراحل التعلم، كل حسب مدركات التلميذ والطالب، فكل تلميذ في المرتبة الابتدائية أو الطالب في المرتبة الثانية يجري عليه الاختبار في سائر ما يزاوله من العلوم بالطريقة الآتية[3]:

إن إجراءات الامتحانات تتم وفقا لرزنامة محددة، حيث يجرى امتحان في نهاية كل ثلاثة أشهر، فيقع اختبار لجميع التلامذة من المرحلتين الابتدائية والثانية بواسطة مشايخهم، وتبدأ الاختبار المذكور من اليوم 26 من الشهر الثالث الى اليوم 30، وغالبا ما يكون شهر ديسمبر، ويرسم لكل تلميذ نتيجة اختباره وما حصل عليه من عدد 1 الى عدد 10، وتسلم الخلاصة المذكور من المشايخ عن حالة التلميذ من حيث السلوك، وفي آخر السنة الدراسية تجمع النظارة في نهاية الشهر الثالث، عادة ما يكون

[1] خير الدين شتره: المرجع السابق، ج2، ص 1130.

[2] محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص 100.

[3] خير الدين شتره: المرجع السابق، ج2، ص 1132.

شهر مارس، ويلاحظ الشيخ حالة التلميذ من حيث السلوك، وفي نهاية السنة الدراسية تجمع النظارة لكل تلميذ ما حصل عليه من النقاط، وإذا تحصل على المعدل ينتقل إلى السنة الموالية، وإذا حصل التلميذ على نصف العدد المعطى لكامل مواد الاختبار ينتقل الى كتب السنة الموالية بشرط أن لا ينقص عن نصف العدد، وإذا لم يحصل على النصف فإنه يعاد اختباره في بداية السنة في خصوص ما لم يحصل فيه على نصف العدد[1]، أي يمكن السماح له باجتياز امتحانات استدراكية، وهذا يتوجب على التلميذ والطالب أن يجعل من العطلة مرحلة مراجعة.

واختبار تلامذة المرتبة الابتدائية سواء في ذلك ما يباشره الشيوخ أو لجنة الاختبار يكون بسرد بعض صفحات من الكتب المخصصة في البرنامج، التي زاولها التلميذ في سنة الاختبار بإملاء كتابي، وبتلاوة مقتطفات من المتون المطلوب حفظها، مع طرح أسئلة في بعض مسائل هينة، ويقع التدرج في ذلك بحسب سنين التعلم. وامتحان طلبة المرحلة الثانية يكون بإنشاء موضوع مناسب، وبتعيين مبحث متوسط من العلوم الأصلية من كتب سنة الاختبار، يطالعه الطالب نصف ساعة ثم يلقيه على اللجنة، أو الشيخ، وتطرح عليه أسئلة تكون إجاباتها متوسطة من المتون، وذلك فيما عدا العلم الذي تعين فيه المبحث ويسأل عن محفوظاته[2].

فإذا تأخر الطالب في الدراسة سنوات عديدة، كان على معلمه او شيخه بإلقاء درس على منواله من كتاب يعينه له، كما يختار له فقرة من المتن يشرحها، ولا ينجح الطالب في اجتياز شهادة التطويع الا إذا اقيمت لجنة تختبره، ثم تحدد مدى أهليته في النجاح في الأشياء الثلاثة الآتية[3]:

---

[1] خير الدين شتره، ج2، المرجع السابق، ص 1133.

[2] نفسه، ص 1134.

[3] محمد الطاهر رويس: المرجع السابق، ص ص 28،27 .

1 – كتابة مقال؛ أي تحرير موضوع في الفقه تعينه لجنة الامتحان، ولا تنجح المقالة إلا إذا صيغت بلغة عربية خالية من اللحن والغلط، ولاسيما اللحن في قواعد النحو والصرف، كما تشمل كذلك على مسائل علمية صحيحة معززة بأدلة وأراء من المتون العلمية المحفوظة[1].

2 – إذا تمكن الطالب من اجتياز تحرير المقالة، والنجاح يكون بحصوله على المعدل فما فوق، ثم يتقدم إلى اجتياز امتحانا ثانيا أهم من الأول، وهو إلقاء درس علمي من كتاب يدرس في السنوات الأخيرة من دراسة الطالب، وتدعى هذه الكتب (المطولات)؛ أي ذات الأجزاء والفصول العديدة، وهي تكثر في الفقه، أو النحو، أو الأصول، أو البلاغة غالبا. والنجاح في الدرس الذي يلقيه الطالب يرجع إلى فهم وادراكه له؛ أي للكتاب محل الدراسة، وعلى فصاحة الطالب أثناء إلقائه، وإذا ما ألم به عجز عن الخطابة والإلقاء، أو كان يلحن أثناء القائه أو يتللك في كلامه، فلا تقر له اللجنة بالنجاح[2].

3 – إذا اجتاز اختبار المقالة والدروس، انتقل للامتحان في المرحلة الثالثة امتحانا شفهيا، وذلك بطرح اسئلة علمية في العلوم التي درسها، فإن أجاب عنها وأظهر للجنة الامتحان المامه للمعلومات التي درسها كان من الناجحين، وإلا وقع تأجيله في امتحان آخر يجري بعد سنة، ويواصل دراسته، كما يستمر اختباره من خلال الأسئلة العلمية يختبر في المتون التي يستظهرها عن ظهر قلب، فإن لم يكن حافظا لجملة صالحة منها فإنه يخفق في الامتحان، حتى يحفظها. وبناء على ما تقدم فإن النجاح في شهادة التطويع أمر عسير يحتاج دراسة طويلة شاقة، وإذا قارناها بشهادة من الشهائد العصرية، فهي متقاربة مع شهادة التبريز في العربية أو الفلسفة مثلا ونظرا لكون

[1] محمد الطاهر رويس: المرجع السابق ، ص 28.

[2] نفسه، ص 29.

النجاح في شهادة التطويع صعب المنال فإن أكثر الطلاب ينقطعون عن الدراسة قبل اجتيازها، مكتفين بالدراسة لبضع سنوات تمكنهم من الإعفاء من الخدمة العسكرية[1].

وأما الامتحان الشفهي يجري بمحراب جامع الزيتونة، حيث توضع لوحة طويلة أمام المحراب يستند اليها مشايخ النظارة العلمية وهم : شيخ الاسلام الحنفي، وباش مفتي المالكية والقاضين الحنفي والمالكي، ويحضره النظارة العام للجامع الأعظم والمدرسون، ويجلس الممتحنون أمامهم وحولهم الطلبة وكل من يريد الحضور[2].

أما امتحان شهادة العالمية فيجرى لدى مشايخ النظارة، ويكون بتحرير مقال في علم من العلوم الأربعة، فالقسم الشرعي منها: الفقه وعلم أصول الفقه، وفي القسم الأدبي نجد منها: النحو والبلاغة. وبإلقاء درس من كتب المرتبة المتوسطة يمنح خمس ساعات لتحضيره، وبأسئلة من علوم المرتبة العليا عدا ما وقع فيه المقال والدرس، وكل طالب اجتاز الاختبار الكتابي، وأخفق في الاختبار الشفاهي لا يطالب في امتحان العام الموالي بالكتابي على شرط أن يستمر في تتبع دروس مرتبة[3].

ثالثا – المدرسون والتلامذة :

المدرسون بالجامع على طبقتين أولى وثانية بالإضافة الى المتطوعين [4]، فمدرسي الطبقة الأولى عددهم ثلاثين نصفهم حنفية والنصف الثاني مالكية، ويتم انتخابهم من قبل نظارة الجامع من مدرسي الطبقية الثانية[5]، فإذا تعذر عليهم الأمر بتساوي مراتب

[1] محمد الطاهر رويس: المرجع السابق ، ص 29.

[2] محمد شمام: **من أعلام الزيتونة**: تونس، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1996، ص21 .

[3] محمد الطاهر رويس: المرجع السابق، ص 29.

[4] المتحصلين على شهادة التطويع من الزيتونة .

[5] أحدثت هذه الطبقة ضمن اصلاحات الجامع بالأمر العلي الصادر سنة 1265 / 1848 م وعدد أساتذة هذه الطبقة 21 مدرسا، أنظر محمد الحبيب ابن الخوجة: **شيخ الاسلام الامام الاكبر محمد الطاهر ابن عاشور**، 3 إجراء "، الدار العربية للكتاب، تونس، ج1، 2008 ، ص 169، وأيضا محمد بن الخوجة : المصدر السابق ص 293 .

المرشحين اختبروا عن طريق مسابقة تحدد الأجدر منهم. أما التدريس ضمن الطبقة الثانية فتنظم له مسابقة، غير أن من سلبياتها التساهل في المسابقة ما مكن قليلي الكفاءة من التصدر للتدريس[1].

أما المدرسون المتطوعون فبمجرد حصول المتمدرس على شهادة التطويع، يرخص له الاقراء والتدريس في جامع الزيتونة. لم يتجاوز عدد طلاب الزيتونة 600 طالبا سنة 1881م، وفي الغالب يتراوح عددهم بين الثمانمائة الى حوالي الألف طالب كل سنة، منهم قرابة الخمسمائة في المرحلة الابتدائية، وما يقارب الأربعمائة في المرحلة الثانية، والمائة في التعليم العالي[2].

أما الصورة الغالبة هي اقبال التلاميذ على الكتاتيب التقليدية، التي كانت تضم أواخر 19م حوالي 23000 تلميذا، حيث يتلقون تعليما مجانيا، وهذا عائد لدور الأوقاف ومساعدات المحسنين دورا هاما في بقائه واستمراره، من خلال إنشاء بيوت الطلبة[3]، والإنفاق عليها، فكان في حاضرة تونس وحدها 22 بيتا للطلبة، تحتوي في مجموعها على ما يقارب 500 غرفة لإيواء الطلبة المعوزين[4].

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ص 208 .

[2] هذه الاعداد كانت في موسم 1909 –1910 م، وفي موسم 1948–1949 م بلغ 988 تلميذ، أنظر الحبيب بن الخوجة: المصدر السابق ص 209

[3] تدعى هذه البيوت بالمدارس، وأقدمها المدرسة الشماعية ثم التوفيقية، وكلاهما من القرن 07، أنظر محمد بن الخوجة: مصدر سابق ص 285 .

[4] عبد العزيز الثعالبي: **تونس الشهيدة**، تر سامي الجندي، ط1، دار القدس، بيروت: لبنان، 1975 م ص 56 وكذلك محمد ابن الخوجة: المصدر السابق ص 285.

رابعا – إصلاح التعليم بجامع الزيتونة خلال الفترة الممتدة ما بين (1837 – 1877م):

إن الإصلاحات مطلب بشري يكتنفه العديد من الاخلالات والعقبات خاصة من أولئك الذين يرون أن أي إصلاح يخطف منهم بريق توهجم، ناهيك عن المؤامرات التي تحبك بطائل تعطيل عجلة التقدم، خاصة منذ تعاظم الامتيازات الأوربية وعلى رأسها الفرنسية، هذا ساهم في تبطئة الإصلاحات في جميع مراحله، غير أن الطلبة كانوا دوما العين الساهرة في تفعيل مطالب الإصلاح، ومن هنا سوف نتحدث على مسيرة الإصلاحات انطلاقا من فترة ما قبل الحماية الفرنسية.

* الوضع التعليمي للزيتونة قبل 1837م:

إن صورة التعليم الزيتوني خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تتميز والبساطة، وكان تعليما يهدف بالاساس إلى إعداد طلبة لا تتجاوز ثقافتهم الشريعة الاسلامية[1]، كما اتسمت الوضعية التعليمية في الجامع الأعظم قبل اصلاحات خير الدين باشا بالفوضى ولا استقرار في التسيير الإداري للجامع، وعدم وجود منهج متفق عليه في الامتحانات، إضافة إلى حرية تصرف الاساتذة في وضع المناهج وطرق التدريس وأختيار الكتب المقررة[2]. وهذا ما أكده عبد الشيخ العزيز الثعالبي في كتابه من أخباره وآثاره في المشرق والمغرب في قوله : « وتحتم على طلابه حضور الامتحانات

[1] حبيب حسن اللولب: **أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر**، د ط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص 123.

[2] رابح فلاحي: **جامع الزيتونة والحركة الاصلاحية في الجزائر (1908 – 1954)**، رسالة شهادة الماجيستر، اشراف عبد الكريم بوصفصاف في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2007 – 2008، ص 35 .

فـي جميـع المـواد القديمـة والحديثـة وتشـمل الحديثـة علـوم الفلـك والهيئـة والهندسـة والطبيعيات والتاريخ والجغرافيا[1] ».

وفـي هذا يؤكد الطـاهر حداد فـي قولـه: « أن هنـاك بعض المواد مكررة تقريبـا فـي الدرجـة الواحدة، كـان عاشـر ابـن تركـي فـي السنة الأولـى والتـأودي وخليل فـي الرابعـة والخامسـة. ونظرا لهـذه الوضـعية سـاءت أحـوال الجـامع، كمـا سـاءت أحـوال التـدريس. فقلت عزيمة المتعلمين ورغبة الدارسين، وانعكس ذلك سلبا على سير الامور بالجامع، وقد تغلب في ذلك فكرة تقليد السلف الصالح في أفكارهم وغلق باب الاجتهاد، كما منع تدريس بعض التخصصات وانقراض عدة علوم مثل : الطب والرياضيات والفلسفة[2]».

أ- اصلاحات المشير الاول أحمد باي (1837-1855)

أصدر المشير أحمد باي مرسوما، أقر في صحيفة محاطة بإطار علقت على مدخل باب من أبواب الجامع الاعظم يقال لـه بـاب " الشفاء "، وأقرت هذه الأمرية أن يعين بموجب الانتخاب للتدريس بجامع الزيتونة خمسة عشر عالما من المالكية، ومثلهم من الحنفية، على أن يدرس المدرس في كل يوم ما عدا يومي الخميس والجمعة درسين من أي علـم أراد، وفـي أي وقـت تيسـر لـه، وإذا فقد أحـد هـؤلاء المدرسـين انْتَخـب نظـار الجامع بدله أعلم الموجودين في الوقت ذاته[3]، واسند مراقبة الدروس ومواظبة المدرسين إلى رئيس الافتاء بالمذهبين وإلى القاضيين، وأجريت لهم مرتبا لذلك، وأمر أن تدفع كل هذه الجرايات من بيت المال[4]، وذلك سنة 1842م.

---

[1] صالح خرفي: **عبد العزيز الثعالبي من آثاره في المشرق والمغرب**، ط 1، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 1995

[2] فاطمة مناد و أحلام غازي: المرجع السابق، ص 38.

[3] فتحي حسن ملكاوي: **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الاصلاح والتجديد في الفكر الاسلامي المعاصر** أعمال المؤتمر الدولي المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط1، الولايات المتحدة الامريكية، 2011، ص ص 53، 54 .

[4] علي الرضا الحسيني: **موسوعة الاعمال الكاملة للامام محمد الخضر حسين** – تونس وجامع الزيتونة، ط1 دار النوادر، بيروت، لبنان، 2010 ص 29 .

وسهر المشير بنفسه على تطبيق هذا المنشور، فكان يأتي الجامع اوقات في غير مواقيت الصلاة، ويجلس وراء حلق التدريس، ولا يقوم له الشيخ ولا أحد من الطلبة، اجلالا هم لهم بنية التقرب إلى الله زلفى لكون المدرس وطلابهم في ذكر وحلقة تحفها الملائكة، فلا يجوز له أن يقاطعهم فهم أرفع شأنا منه لانشغالهم بالعلم، فيثمر في الدنيا العز الأوفى[1].

ومن أبرز الأعمال التي قام بها المشير أحمد باي اقتناء كتب مكتبة الوزير حسين خوجة بماله الخاص، كما اقتنى غيرها من الكتب الفقهية والعلمية والأدبية، وأضاف إليها الكتب التي كانت على ملك عائلته، فكون بذلك المساعي مكتبة عمومية أطلق عليها إسم " المكتبة الاحمدية "[2].وبذلك صار جامع الزيتونة زخر بمكتبة ذات منصفات علمية عديدة تسهل على المدرسين والطلبة وقاصدي الجامع التمكن من هذه المكتبة، كما عدت خصلة من خصال المشير.

ب- إصلاحات خير الدين باشا (1870-1877) :

عرف جامع الزيتونة منذ القرن 10هـ / 16م وحتى القرن 14هـ / 20م تحولات لم تقتصر على هياكله فحسب، وإنما طالت مناهج وطرق التدريس بالجامع، فكان استجابة لمطالب الحياة[3]، والتغيرات المطردة على الحياة، حيث ما إن تولى خير الدين الوزارة خلال الفترة م بين 1873م و1877م حتى هم بأحداث عدة إصلاحات خصت التعليم بالجامع الأعظم المعمور[4].

---

[1] أحمد بن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان** ،ج2، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 67 .

[2] محمد بن الخوجة: **صفحات من تاريخ تونس**، كيف نشأت خزائن الكتب لدراسة العلوم بجامع الزيتونة المعمور، ج2، المجلة الزيتونية، ج3 تونس، نوفمبر 1936، مج 1 ص 136 .

[3] رابح فلاحي: المرجع السابق، ص ص 35- 36 .

[4] أحمد عبد السلام: **مواقف اصلاحية في تونس قبل الحماية**، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986 م، ص 73 .

وجاءت هذه الإصلاحات نتيجة تدهور وانحطاط الأمة، الامر الذي سهل على فرنسا الاستيلاء على تونس بموجب معاهدة الحماية سنة 1881[1]، وقبل ذلك كان خير الدين باشا وزيرا مستشار عينه الجنرال حسين[2] سنة 1871 في لجنة لتفقد الدروس بالجامع، وهذا الاخير حرر تقريرا نشره بالرائد التونسي[3]، في العدد المؤرخ في 06 ديسمبر 1871، وذكر أنه لم يجد من الدروس درسا في تفسير القرآن، وكثرة دروس الفقه والنحو، وأن الطلاب في حاجة إلى أساتذة مختصين في مواد مختلفة، وتقدم باقتراح يتضمن ضبط طرق التدريس في كتيب يوزع على المتدرسين والمدرسين، وقد كانت أراء الجنرال حسين متأثرة بالطرق العصرية التي شاهد نجاعتها في البلاد الأوربية، وقد شارك الجنرال حسين في الاصلاحات بالرأي، ولم يقتصر خير الدين على استشارته فحسب، بل وسع من استشار مشركا عدة علماء، وما يدل على ذلك تشكيل لجنة أوكل إليها النظر في طبيعة الدروس وأحوال المدرسين والطلبة في الجامع الاعظم، وجاء الامر القاضي بتكوين هذه اللجنة في 04 جمادى 1291 هـ الموافق 18 يونيو 1874م، وقد كانت تجتمع اللجنة المنصبة بموجب الأمر السابق الذكر كل يوم اثنين من كل أسبوع برئاسة خير الدين، وضمت السادة الآتية أسماءهم :

---

[1] خير الدين شترة: **الطلبة الجزائريون في جامع الزيتونة 1900 – 1956، الروابط الحضرية بين القطرين و أثر الجامع الأعظم في الوعي الجزائري**، ج 1، د ط، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 114

[2] ولد في قرية نائية في بلاد الجركس، اطلق عليه في البداية اسكندر، اختطف من قبل مجهولين إلى اسطنبول ثم باعوه إلى مبعوث باي تونس التحق بالمدرسة الحربية بباردو بفضل إعتداله، تقلد المناصب العسكرية في عهد المشير أحمد باي، ساعد خير الدين في اصلاحاته بالزيتونة توفي في فلورنسا ودفن في اسطنبول بجوار ضريح السلطان أحمد سنة 1987. – انظر: الصادق الزملي، **اعلام تونسيون**، تق، حمادي الساحلي، ط1، دار العرب الاسلامي، بيروت، 1986 ص 79 .

[3] أسست عام 1860 كانت تعكس وجهت نظر الحكومة، أحدث عام 1911 أدارها الطيب بن عيسى ونشرت عدة مقالات ودراسات حول اصلاح التعليم، لعل أهمها العدد الصادر في جانفي1911 م وآخر ماي 1911 م، انظر: محمد المالكي: **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، ط1، مركز دراسات الوحدة المغربية، بيروت، 1999، ص 239 .

أحمد بن خوجة المفتي الحنفي[1]. – الطاهر بن نفير القاضي المالكي. – عمر بن الشيخ قاضي باردو. – العزيز بوعتور[2] باش كاتب. – ومحمد بيرم[3] رئيس جمعية الاوقاف. – العربي زروق رئيس المجلس البلدي. – الشيخ المدرس أحمد الورتاني[4].

أما المهام التي أوكلت بها هذه اللجنة كان مندرجا خمسة أبواب تتضمن سبع وستين فصلا أهمها [5]:

***الباب الاول:** وهو يضبط المواد المقررة بتدريسها، وهي على نوعين اختيارية واجبارية مع تعيين الكتب المقررة، وإضافة كثير من العلوم والفنون موزعة على مراحل التعليم الثلاث المعمول بها بجامع الزيتونة.

***الباب الثاني:** وخص المدرسين و الطلبة، ويتضمن توجيهات تتعلق بأساليب وطرق التدريس و أحوال الطلبة.

***الباب الثالث**[6]: أعمال المشائخ النضال.

***الباب الرابع:** طريقة تنظيم الامتحانات في آخر السنة الدراسية.

---

[1] هو أبو العباس أحمد: نشأ هذا الشيخ في طلب العلم وحصل على درجة التحصيل وكان قاضيا في المذهب الحنفي، توفي 1241 هـ / 1926 م ، دفن بزاوية سيدي عقبة قرب داره، انظر: أحمد ابن الضياف: ج4، المصدر السابق، ص 143 .

[2] هو الوزير الشيخ محمد العزيز بن الحبيب بن الطيب بن الوزير محمد بن محمد بوعتور كان موجود سنة 705 هـ /1838 م قام بتأسيس خزائن اشتراها من الوزير حسين خوجة، عين كاتبا بديوان الانشاء بباردو من طرف باشا كاتب سنة 1262 هـ / 1845 م، ثم اسند إليه رئاسة كتبه وزارة المال ثم رقاه برتبة أمير اللواء، ثم عضو بالمجلس الاكبر، ثم أمير الامراء سنة 1281 هـ / 1964 م، انظر محمد بن خوجة، مصدر سابق، ص ص 421 – 422 .

[3] هو أبو عبد الله محمد بن حسين بيرم، قدم مع سنان باشا لفتح البلاد الاسلامية، واختار بعد الفتح المقامة بها، توفي في آخر شوال 1214 هـ / 26 مارس 1800 م ،انظر أحمد ابن الضياف، ج 7، المصدر السابق ص، 30.

[4] أحمد عبد السلام: المرجع السابق، ص ص 66 – 67 .

[5] خير الدين شتره: ج1، المرجع السابق، ص 735–736.

[6] محمد العزيز بن عاشور: المرجع السابق، ص 93.

وتضمنت إصلاحات خير الدين أيضا أحكام التنظيم الإداري بتعيين شيخ الجامع، والزيادة في مرتبات المدرسين من ريالين إلى ثلاثة ريالات في اليوم، كما حدد قائمة المواد المدرسية، ودفتر للطلبة لتدون عليه ملاحظات الأساتذة المدرسين له، مع إعطاء امتيازات لطلبة الجامع الأعظم كإعفائهم من الخدمة العسكرية والضرائب[1].

لكن ما ميز تلك الإصلاحات هو النظر لما أحدثه خير الدين في ادخال العلوم الحديثة محل معارضة من قبل بعض كبار الشيوخ الذين كانوا يرونها ابتداع لم يسبقه غيره، وذلك لكون الجامع ذو قدسية لا تدنس بمثل تلك العلوم النقلية، كما أن الجامع الأعظم يقتصر على العلوم الإسلامية[2].

إذا كان خير الدين ضابطا لإدارة الجامع ولأحوال المدرسين والتلامذة ومعينا للعلوم التي تدرس بالجامع وللكتب التي تدرس بها، وبقيت هذه الأوامر معمولا بها الى غاية 1328هـ /1909م، وبعد ذلك ظهر أن التراتيب المذكورة صارت لا تفي بحاجيات التعليم التي اقتضاها هذا الزمان وأدرك ضرورة تنفيعها وإدخال أحكام جديدة ونهض التلاميذ أنفسهم مطالبين باصلاح التعليم بالمعهد الزيتوني وبمقتضى ذلك تكونت لجنة من رجال العلم والإدارة كلفت بوضع قانون جديد للجامع وزيادة فنون وكتب لابد منها، ووضعت اللجنة قانونا ضابطا لتلك الأمور كلها في 05 شوال 1330هـ الموافق لي 26 سبتمبر 1916م واستمر العمل بهذا القانون حسبما دعت الضرورة اليه في ذلك الحين ولكن هذه الأعمال لم تنجح لأسباب لم يعرفها الباحثين الى اليوم[3].

---

[1] خير الدين شتره: ج1، نفس المرجع، ص 736.

[2] الساحلي حمادي: **فصول في التاريخ والحضارة**، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، 1992، ص 138.

[3] محمد المختار بن محمود: جامع الزيتونة من أقدم الكليات، **المجلة** الزيتونية، المطبعة التونسية، مج 2، ج2، ع57 نوفمبر 1937، تونس، ص 53.

المبحث الثاني: الطلبة الزيتونيين بالجامع الأعظم خلال الفترة الممتدة ما بين (1842 – 1938م):

كان جامع الزيتونة يحتل مكانة متميزة في مجتمع يجل العلماء ويحترم العلم والكتابة فالتجأت إليه أعداد وافرة تبحث عن تحقيق رقيها الاجتماعي، وربما المشاركة الغير واعدة في حركة إثبات الهوية والدفاع عن الذات، ولذلك ليس من الغريب أن يتزامن انتشار التعليم العصري مع انتشار التعليم الزيتوني، ولعل التزايد في عدد الطلبة الزيتونيين لم يكن تعبيرا عن العافية والسلامة بقدر ما كان مؤشرا على أزمة عميقة تشق المجتمع التقليدي بكل مؤسساته ومن بينها الزيتونة.

أولا – التحولات الطارئة على الأمور التنظيمية للتلاميذ والطلبة المنتسبين لجامع الزيتونة:

إن الإصلاحات التي شهدها جامع الزيتون خلال الفترة الممتدة ما بين (1842 – 1938م) لم تقتصر على البرامج وطرق التدريس، وأحوال المدرسين وشيوخ الجامع، بل طالت التلاميذ والطلبة في جميع متطلباتهم بالجامع الأعظم، حتى يتحصلون على مستوى من التعليم الذي يؤهلهم لخلافة السلف، ويكون خير خلف لهم.

أ- إجراءات الالتحاق بجامع الزيتونة:

نلاحظ أن سن المشاركين للدخول لهذا التعليم بالجامع الأعظم يختلف اختلافا كثيرا من كان من أبناء العاصمة لا يتجاوز سن الخامس عشر و يرجع ذلك لسببين[1]: قرب منازل من كان من أهل العاصمة و [2]أن الذي يأتي من خارج العاصمة يسكن بيوت

[1] خير الدين شتره: ج2، المرجع السابق، ص 1111.

[2] محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 95

المدارس المخصصة لمن شارك في التعليم بالجامع الأعظم و يستلزم ذلك أن يقوم بكامل شؤونه من غسل ثيابه و طهي طعامه.

*أن يكون التلميذ حافظا لعشر القرآن العظيم؛ أي ستة أحزاب كأدنى حد للحفظ.

*أن يكون سنه اثنا عشرة سنة على الأقل.

*أن يكون متأهلا لمطالعة الكتب وتحرير كتابه بما يملى عليه.

*يجب على كل تلميذ أن يكون مصحوبا بورقة التعريف له محررة بصفة رسمية.

*أن يقدم طلبا لمجلس النظارة بإمضاء وليه[1].

ويرد الطلبة إلى جامع الزيتونة بصفة أساسية من المصادر التالية[2]:

- المدارس القرآنية العصرية.

- الكتاتيب والزوايا.

- المدارس الحكومية سوى منها الابتدائية بالمدارس الفرنسية أو العربية أو الثانوية.

ب- جرد عدد الطلبة الزيتونيين:

عدد الطلبة الزيتونيين قبيل انتصاب الحماية حوالي الستمائة[3]، وكان ذلك العدد يلبي حاجة المجتمع من الإطارات والمثقفين ولم يكن انتصاب الحماية بما يعنيه من اللجوء إلى الإطارات ذات تكوين عصري يسمح بتزايد عدد الطلبة الزيتونيين بصفة ملحوظة،

[1] محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص 100.

[2] نفسه، ص ص 100 - 101.

[3] عبد العزيز الثعالبي: **تونس الشهيدة**، تع حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1984، ص 60

إذ بلغ عددهم سنة 1899: 901 طالبا، ويبدو أنهم لم يتجاوزوا الألف إلى حدود سنة 1910.

لقد بقي جامع الزيتونة خلال هذه الفترة وفقا على أبناء الحاضرة وبعض المناطق الهامة وخاصة منها الساحلية، وابتداء من نهاية العقد الأول من القرن العشرين أصبح الطلبة الزيتونيين يتزايدون بصفة ملحوظة إلى أن وصل عددهم في نهاية الثلاثينيات ما يزيد عن بضعة آلاف[1].

وبين سنتي 1911 و1939، نقسمها إلى أربع فترات متمايزة وهي[2]:

- الفترة الأولى:

تمتد من سنة 1911 إلى سنة 1919، خلال هذه الفترة تزايد في عدد الطلبة بالمقارنة مع الفترة السابقة، حيث بلغ عدد الطلبة سنة 1911 ، 1055 طالبا وتناقص هذا العدد سنة1919حيث أصبح 831 طالب، ويرجع السبب إلى ظروف الحرب العالمية الأولى، كما أن سلطات الحماية تشددت في مراقبة الطلبة الزيتونيين بعد اضطرابات سنة 1910 الطالبية.

- الفترة الثانية:

من سنة 1919 إلى سنة 1926، لقد تضاعف عدد الطلبة خلال هذه الفترة، فإن عددهم انتقل من 1500 طالب سنة 1921 إلى 2050 طالب سنة 1926[3]، وقد تسبب هذا التزايد للطلبة الزيتونيين في اكتظاظ أماكن اقامتهم ودراستهم فظهرت سنة

[1] محمد ضيف الله: "المرجع السابق" ص66

[2] محمد بن الخوجة: **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد**، تح، تق، الجيلاني بن الحاج يحي وحمادي الساحلي دار الغرب الاسلامي، بيروت 1985، ص328.

[3] محمد ضيف الله: "المرجع السابق" ، ص67.

1926 أول مدرسة سكنى لهم منذ أكثر من نصف قرن وهي المدرسة الحبيبية الكبرى غير أنها لم تكن قادرة على استيعاب الأعداد الوفيرة منهم فوقع إسكان ثلاثة طلبة بكل غرفة ومن جهة أخرى طالب مجلس إصلاح التعليم الزيتوني سنة 1924 بإضافة الجامع الحفصي إلى جامع الزيتونة الذي أصبح يشكو من ظاهرة الاكتظاظ[1].

- الفترة الثالثة:

عدد الطلبة سنة 1926 2050 طالب ثم انخفض عددهم سنة 1927 إلى 1740 طالبا، وارتفع سنة 1928 إلى 1970 طالب وفي سنة 1929 إلى 1905 طالب و1955 طالبا سنة 1930، ثم سجلت سنة 1931 أدنى رقم 1725 طالبا، ويعود سبب هذه الاضطرابات إلى عدة أسباب[2]:

*الاكتظاظ في مقرات سكنى الطلبة يجعل البعض ينقطعون عن الدراسة، وقد بلغ عددهم سنة 1929 200 طالبا.

*الاضطرابات الطالبية التي بدأت 1928 وهذا راجع إلى طول فترة الاضطرابات والمتابعات الأمنية البوليسية.

*تكلفة المصاريف مما جعل بعض العائلات لا تقدر على تحمل نفقات أبنائها[3].

- الفترة الرابعة:

تمتد من سنة 1931 إلى 1939 ارتفع عدد الطلبة من 1725 سنة 1931 إلى 2910 طالب سنة 1939، وخلال هذه الفترة عرفت زيادة هامة مقارنة مع السنة

[1] عبد الجليل التميمي: محاضر جلسات اصلاح التعليم الزيتوني سنة 1924-1925، **المجلة التاريخية المغربية** ع 21-22 افريل 1981 ص 130.

[2] محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص68

[3] نفسه ص67

السابقة اذ بلغ عدد الطلبة سنة 1932،2548 طالب[1]، وتناقص العدد سنة 1934 إلى 2095 طالب، أما السنوات اللاحقة سجلت أربع زيادات إلى حدود سنة 1938 حيث كان عدد الطلبة 2312 فأصبح سنة 1938، 3200 طالب أما بعد سنة 1938 نقص عدد الطلبة نتيجة، توتر الوضع السياسي في البلاد والاضطرابات الطالبية الزيتونية، كما أن ذلك التراجع في عدد الطلبة الزيتونيين يشكل بداية لتراجع عام وهام سجل خلال الحرب العالمية الثانية.

جـ- توزيع التلاميذ والطلبة داخل الفروع المنتسبة لجامع الزيتونة:

فبالنسبة إلى التلاميذ المسجلين داخل الفروع الخمسة الموجودة داخل البلاد فقد بلغ 350 طالبا في سنة 1927-1928 وارتفع إلى 500 ثم 600 خلال السنتين المواليتين، أما العدد المسجل في كل فرع على التوالي:

500 تلميذا بالنسبة إلى فرع صفاقس.

200 تلميذا بالنسبة إلى فرع سوسة.

100 تلميذا بالنسبة إلى فرع القيروان.

200 تلميذا بالنسبة إلى فرع قابس وباجة وبنزرت والمنستير وجربة[2].

[1] علي الزيدي: الوضع العام بالتعليم الزيتوني حتى اصلاح 1951، **المجلة التاريخية المغربية** ع 33، 34 جوان 1984 ص 84

[2] مختار العياشي: **الزيتونة و الزيتونيين في تاريخ تونس المعاصر، 1983 – 1958**، د ط، مركز النشر الجامعي للجامعة التونسية، تونس، 2003، ص 145.

هـ- توزيع الطلبة على مختلف درجات التعلم:

بالنسبة إلى توزيع الطلبة على مختلف درجات التعلم، فقد بلغ عدد المسجلين بالجامع الأعظم في السنة الدراسية 1930-1931: 1955 طالبا موزعين على النحو التالي[1]:

- المرحلة الأولى من التعليم الثانوي (3 سنوات) 855 طالبا.
- المرحلة الثانية من التعليم الثانوي (4 سنوات) 1200 طالبا، منهم 240 في القسم الأول و280 في القسم الثاني و280 في القسم الثالث و400 في القسم الرابع.

أما في السنة الدراسية 1937-1938 بلغ عدد الطلبة: 3047طالبا منهم 2000 طالب في المرحلة الأولى و1047 طالبا في المرحلة الثانية.

ثانيا - مدارس سكنى الطلبة: النشأة والتسيير :

إن مدارس سكنى الطلبة عبارة عن منشآت عمرانية، مفردها مدرسة وهي تتكون من مسجد للصلاة والتدريس، وبيوت لإيواء الطلبة الدارسين بها، وقد خصصت لها أوقاف تختلف في أهميتها قصد القيام بأعمال الترميم والتحضير، والتنوير والتنظيف، كما منحت جراية للمدرسين ولطلبتها من الأوقاف[2].

أ - نشأة وظروف العمل بها :

تعتبر مسألة السكن من بين أهم المشاكل التي يتعرض إليها الطالب طوال فترة الدراسة وخاصة في بداية كل سنة دراسية جديدة إضافة إلى تأثيرها على الحالة النفسية للطالب وانعكاساتها على نتائجه الدراسية، ويعود إنشاء أوائل مدارس سكنى الطلبة إلى

[1] مختار العياشي، الزيتونة و الزيتونيون، المرجع السابق ص 145.

[2] محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص 79.

القرن الثالث عشر، وتعتبر المدرسة الشماعية أولها فقد أسسها الأمير أبو زكريا يحي الحفصي سنة 1236 م، ومنذ ذلك الحين توالى تأسيس المدارس على أيدي الأمراء والخواص حتى بلغ عددها في أواخر العهد الحفصي الثمانية، وفي العهد المرادي وقع ترميم بعضها وأضيفت إليها أربع مدارس أخرى. وفي القرن الثامن عشر وقع تأسيس أثني عشرة مدرسة وتشكل تلك المدارس العتيقة أغلب المدارس الموجودة بالحاضرة والمستغلة من قبل الطلبة الزيتونيين للسكنى حتى منتصف القرن العشرين[1]. ويمكننا معرفة حالة تلك المدارس من خلال الأمثلة التالية:

المدرسة العاشورية:

أسسها علي باشا سنة 1746، ويبلغ عدد غرفها أربعا وعشرين، وقد جعلها مخصصة لاستقبال الطلبة المالكية القادمين من داخل البلاد قصد الدراسة ولذلك أوقف عليها مكتبة تضم 357 كتابا، كما جعل لها أوقافا كافية لمختلف مصاريفها، وكان يدير هذه المدرسة إمام هو نفسه المدرس بها[2].

المدرسة الباشية:

أقيمت سنة 1752، وهي تحتوي على 13 غرفة للسكنى الطلبة الحنفية ويعمر كل واحدة منها طالب على شرط أن لا يتغيب عنها أكثر من سنة، وتشبه هذه المدرسة في تنظيمها المدرسة العاشورية[3].

[1] محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص 80.

[2] محمد ابن الخوجة: تاريخ معالم التوحيد، المصدر السابق ص ص313 – 316 .

[3] المصدر نفسه، ص ص316 – 326.

المدرسة البشيرية:

بزاوية سيدي محمد البشير الزواوي، وهي من الأحباس الخاصة وقد أوقفها حسين بن علي سنة 1724 على هذا الولي، وهي تحتوي على مسجد به التفسير والحديث، وسبع غرف يسكن بها الطلبة، ويقوم المشرفون على هذه المدرسة والزاوية بمراقبة سلوكهم وحثهم على الدراسة، كما يقومون بإطعامهم من الأوقاف[1].

أما مدارس سكنى الطلبة الموجودة في العاصمة، ثم ارتفع عددها 24 في سنة 1936 و34 في سنة 1945 بالإضافة إلى العشر مدارس التابعة للخواص، وقد كانت مدارس سكنى الطلبة في العاصمة موزعة على النحو التالي[2]:

ب – المدارس التابعة لجمعية الأوقاف:

ضمة جمعية الأوقاف 24 مدرسة، حيث تسير من خلال الدعم المتثل في الموارد التي تدرها الأوقاف على الجمعية، وهذه هي مبين بالجدول الآتي :

جدول المدارس التابعة لجمعية الأوقاف[3] :

الرقم	اسم المدرسة	العنوان	عدد الغرف
01	التوفيقية	نهج جامع الهواء عدد 11	36
02	المتيشية	نهج ابن متيشة	12
03	المرجانية	زنقة بكار عدد 1	11
04	الحسينية الكبرى	نهج سيدي الصوردو عدد 4	43
05	الحسينية الصغرى	نهج سيدي الصوردو عدد 29	10

[1] محمد ابن الخوجة: المصدر السابق، ص ص 325– 326.

[2] محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص 80.

[3] مختار العياشي: الزيتونية، المرجع السابق، ص 170.

06	مدرسة الجامع الجديد	نهج الصباغين عدد 29	20
07	الشماعية	سوق البلاغجية زنقة الشماعين عدد 4	31
08	المنتصرية	نهج الوصفات عدد 9 (سوق النحاس)	25
09	الحفصية	نهج عاشور عدد 33	08
10	المغربية	تربة الباي عدد 44	12
11	العتيقة	نهج عنق الجمل رقم 5	13
12	الحبيبية الكبرى	نهج عبد الوهاب عدد 49	05
13	الحبيبية الصغرى	نهج المطيهرة عدد3	07
14	الطابعية الكبرى	نهج سيدي العلوي عدد 4	30
15	الطابعية الصغرى	نفس العنوان	11
16	السليمانية	نهج المدرسة السليمانية عدد 13	23
17	مدرسة النخلة	نهج الكتبية عدد 11	15
18	الباشية	نهج الكتبية عدد 01	13
19	اليوسفية	نهج الصباغين عدد 29	22
20	المرادية	سوق القماش عدد 57	25
21	العشورية	نهج عاشور عدد 62	25
22	الجاسوسية	نهج باش حانبة عدد 7	10
23	الاندلسية	نهج الركاح(قرب سيدي العجمي)	09
24	القاسمية	نهج التومي عدد 9	28
المجمـــوع			474 غرفة

ج – المدارس الخاصة الخاضعة لمراقبة إدارة التعليم العمومي:

وهي عشر مدارس هي كالآتي[1]:

[1] مختار العياشي: الزيتونة، المرجع السابق، ص 171.

– مدرسة الدغرية، وقد شيدها السيد محمد الدغري، وتولى الإشراف عليها أبناؤه، تقع بنهج القصبة.

– مدرسة زاوية العل، وقصد بها الزاوية القادرية التي تقع بنهج الديوان.

– المدرسة الهلالية.

– مدرسة الصالحية، وتقع بنهج سيدي ابن عروس وقد بناها السيد محمد الصالحي، وهي وقف على الطلبة.

– مدرسة الهداية، أسسها الحاج أحمد الجربي، وأقفها على الطلبة المكفولين من قبل جمعية إعانة ضعفاء الطلبة.

مدرسة زاوية سيدي البشير، وتقع بنهج سيدي البشير بحي باب الجزيرة، وقد اندثرت.

– مدرسة الزاوية البكرية، وتقع بنهج ابن عثمان ويشرف عليها آنذاك حفيد المحبس.

– مدرسة زاوية سيدي شيحة، وتقع بنهج سيدي شيحة في حي الحلفاويين.

– مدرسة زاوية سيدي الباهي، وتقع بنهج الشبكة، ويشرف عليها أحفاد الموقف.

– مدرسة زاوية سيدي العجمي، وهي حكر عل الطلبة الجزائريين[1].

د– إدارة وتسيير مدارس سكنى الطلبة[2]

أصبحت مدارس سكنى الطلبة خاضعة لرقابة النظارة العلمية بجامع الزيتونة، وهذا بعد مركزة؛ أي حصر التعليم بالجامع، غير أن كثرة مهام المشايخ النظار جعل رقابتهم

[1] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق، ص 171

[2] محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص 80.

عليها ضعيفة، مما أدى إلى التسيب في تسييرها، وقد شجعت هذه الوضعية إدارة التعليم العمومي، في إطار سعيها إلى مد نفوذها على جميع المؤسسات التعليمية بما فيها التابعة لجامع الزيتونة، ووضع يدها عليها، وجراء ذلك صدر الأمر المؤرخ في 20 فيفري 1889، الذي اقر تقسيم مدارس السكنى إلى ثلاثة أصناف حسب مستوى الدراسة والتعليم، وخصص الصنف الثالث للمتحصلين على التطويع، وأصبح مدير التعليم يقترح عند الشغور شيوخها على أن تقع تسميتهم من قبل الوزير الأول، كما أن مدير التعليم يترأس مجلس إدارة يهتم بكل المسائل التي تخص مدارس السكنى. أما مصاريفها فتتولاها جمعية الأوقاف إذ تتعهد بالترميم والصيانة والتنوير[1].

ثالثا – تدهور أوضاع الإيواء بمدارس سكنى الطلبة:

أصبحت أوضاع واحتياجات الطلبة تتفاقم من سنة إلى أخرى، ويعود سبب في ذلك إلى ازدياد عدد الطلبة، مما أدى هذا الأمر إلى الاكتظاظ الذي انعكس سلبا على الظروف الصحية الطلبة ، لكون السكن بمدارس سكنى الطلبة لا يطاق، مما لحق بها من العفن والرطوبة وسوء أحوال سكانها، والمتطلع على لجرائد التونسية الصادرة آن ذاك يجد صفحات الجرائد كالنهضة، والزهرة مملوءة بكتابات بعض الطلبة الذين كانوا يعانون معاناة شديدة، من خلال وصفهم للأوضاع قصد تسميع أصواتهم علها تجد من يسعفهم ويخفف عنهم شدة البؤس الذي لم يعد يطاق. وهذا ما يقره الأستاذ مختار العياشي فيقول : « أما مدارس سكنى الطلبة فقد كانت بمثابة الجحور المفترقة في اغلب الأحيان إلى ابسط وسائل حفظ الصحة، وكان الطلبة يقومون بأنفسهم بالشؤون المنزلية في تلك المدارس المفتقرة في معظمها إلى الماء الصالح للشرب والكهرباء وقنوات صرف المياه[2].

[1] محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص 80.

[2] مختار العياشي: الزيتونة، المرجع السابق، ص 164.

ويصف طالب جزائري عبد الرحمان العيلاوي الوضع الكارثي المعيشي آنذاك، حيث ذكر في عدد من المقالات في الجرائد التونسية وضع تلك المساكن : « بأنها عبارة عن خربات تحتاج إلى الصيانة، وهي أشبه بمرابض الدواب، وتفتقر إلى الإضاءة، وأن جل بيوت المدارس لا يتخللها الهواء أبدا ولا تصلها أشعة الشمس إلا القليلا، وقد يضطر التلميذ لإسراج النور بالنهار ليمكنه من إتمام أشغاله[1].»

ويصف الطاهر الحداد الحالة التي كانت عليها تلك المدارس في عصره ملاحظا بالخصوص ما يلي : « أما صحن مدارس سكناهم ، فإن تواصل الطبخ والمياه تبقى باليومين والثلاثة ملطخة به بدون أن ترفع، لأن المكلف الذي يتقاضى في الشهر من إدارة الأوقاف ما لا يزيد عن الأربعين فرنكا، يزهد في أن يعمل باستمرار في نظافة المدرسة. »، وهذا ما انعكس عن سوء التغذية، وقلة وسائل حفظ الصحة، مما أدى إلى ذلك الوضع البائس، وإصابة العديد من الطلبة بمختلف الأمراض، والتي ظلت تزايد يوما بعد يوم، كما أشار لذلك الطاهر الحداد بقوله : « وكثرة المصابون من الطلبة بأمراض كانت سبب هلاك كثير منهم، أو نهب عافيتهم، وكثر ما يكون لهم سقوط مستمر من ذلك[2].»

نظرا لهذا الوضع المزري رأى الدكتور دنقزلي المكلف بإجراء تفقد صحي على مدارس سكنى الطلبة بالعاصمة يقول : « بالإضافة إلى التحسينات ذات الصبغة المادية الواجب إدخالها على تلك المدارس بتعيين تحقيق تحسينات أخرى ذات صبغة سياسية للتخفيف من الاكتظاظ في مدارس سكنى الطلبة، وبذلك بغرض شروط صارمة على قدوم هؤلاء الشبان من داخل البلاد وحملهم على الرجوع إلى خدمة أراضيهم مثل أبائهم وهو أمر ليس فيه اي مكروه ...». ويواصل قوله : « بفضل ذلك سيفضي عدد

[1] عامر مريقي: المرجع السابق، ص 105.

[2] الطاهر الحداد: المصدر السابق، ص34.

العناصر المكدرة للراحة بين طلبته ، ولكن في الحقيقة أن جامع الزيتونة سيبقى دائما يضم عدد كافي من الطلبة رغم هذه الظروف المزرية...»[1].

رابعا – الوضع المادي للطلبة:

إن انعدام وجود مؤسسة عمومية تتكفل بإعداد الأطعمة للطلبة، هذا ما كان يدف بالطالب الزيتوني أن يتزود بالغذاء قبل سفره والاتحاق بالدراسة، وتخصص له العائلة جزء من أطعمة العولة السنوية فتختار له الأم أحسن ما عندها من دقيق وكسكسى وحمص ....الخ، كما أنه أثناء العطل يساعد عائلته بالعمل الموسمي، فيوفر بعض المال يضاف إلى ما توفره الأسرة من المصاريف اليومية، وقد يقتطع جزء من المال من أجل كراء غرفة بإحدى الوكالات مع زملائه، ولكن اغلب المصاريف تذهب إلى اقتناء ما ينقصه عندما يريد إعداد الطعام من خضر أو نفط....الخ، وفي الغالب يجتمع الطلبة في غرفة واحدة، خاصة الذين ينتمون إلى منطقة واحدة، وهذا من اجل تسهيل عملية إعداد الطعام، حتى لا يكون الوقت على حساب دروسهم ومراجعهم. أما بالنسبة للطلبة المعوزين الذين يقدمون إلى الحاضرة لا يأتون بما يكفيهم من المؤونة، مما يؤثر عليهم ويزيد من أعبائهم، هذا ما يجعلهم يبحثون عن عمل خارج أوقات الدراسة من أجل سد رمقهم[2]، ويوجد بعض العائلات الثرية بالعاصمة تتكفل ببعض هؤلاء الطلبة، فتوفر لهم وجبة الغذاء والعشاء، وهناك من الطلبة من يقدم دروسا للأطفال الصغار بمقابل ضئيل من المال، كما أن جمعية الأوقاف توفر لعدد قليل من الطلبة جراية شهرية طبقا لرغبة أصحاب الأوقاف، وفي الأخير يمكن القول أن كل ما

[1] خير الدين شتره: ج2، المرجع السابق، ص 1008.

[2] نفسه، ص 1011.

يعانيه الطالب من أوضاع مزرية، لم يثنيهم على التحصيل العلمي[1]، إلا لمن كانت الظروف أكثر قساوة.

ولحل مشكلة الأكل والإطعام أنشئت في سنة 1932 جمعية خيرية زيتونية، تدعى جمعية إعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الأعظم، وفروعه التي أسسها بعض المشايخ الزيتونيين، وقد ترأسها الشيخ محمد العزيز النيفر، وضمت في عضويتها كل من : محمد الشاذلي بن القاضي وعبد العزيز الباوندي، وكانت تهدف هذه الجمعية إلى إعانة الضعفاء من الطلبة الزيتونيين من حيث المأكل والملبس، والسكنى والحالة الصحية، وقد تمكنت الجمعية في إطار عملها من فتح المطعم الزيتوني بداية من غرة جانفي 1937م، فكان يوفر الطعام لأكثر من مائة طالب مجانا في مطعم الحاج الغدامسي وإخوته الكائن بشارع باب الجديد عدد 73، كما تمكنت من كسب ثقة أحد الأثرياء وهو الحاج أحمد بن الأمين الجربي، الذي بنى مدرسة الهداية سنة 1938م وسلمها للجمعية لتوفير السكن للطلبة المعوزين[2].

بالإضافة إلى ظرف الدراسة والتغذية والسكن، ظرف الإكساء، فقد جاء في أحد المناشير المعلقة حول الجامع الأعظم، ما يلي: « أيها الطلبة إرفعوا ثيابكم الرثة وأكشفوا عن ملابسكم البالية وكونوا حماة الحق »، ومع دعوة الطلبة إلى مطالبة شيخ الجامع الأعظم بالتدخل لدى شيخ المدينة، حتى يتحصلوا على نصيبهم من الأقمشة والأحذية الموزعة على السكان، لكن هذه المطالب لم تتحقق رغم وعود الإقامة العامة[3].

[1] محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص86.

[2] نفسه، ص87

[3] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيون، المرجع السابق، ص 168.

- الفصل الثاني -

الإصلاحات بالزيتونة وردود الأفـــعال خلال المدة الممـــتدة ما بين (1881م - 1910م)

المبحث الأول: التعليم العربي بتونس وسياسة الحماية ومشروعها الإصلاحي الأول لجامع الزيتونة (1881 - 1910م)

أولا - التعليم العربي بتونس في بداية فترة الحماية

ثانيا - سياسة فرنسا في التعليم بتونس

ثالثا- مشروع لويس ماشوال لإصلاح التعليم الزيتوني

المبحث الثاني : ردود الأفعال تجاه الإصلاحات في الفترة الممتدة ما بين (1881 - 1910م)

أولا - ردود فعل العلماء المحافظين

ثانيا - دور الحركة الطلابية في بناء وعي جديد لدى مشايخ الزيتونة وطلبتها

ثالثا - إضراب طلبة جامع الزيتونة سنة 1910

المبحث الأول: التعليم العربي بتونس وسياسة الحماية ومشروعها الإصلاحي الأول لجامع الزيتونة (1881 – 1910م):

حرصت سلطات الحماية للاهتمام بجانب التعليم كأداة تمكنها من السيطرة على البلاد ثقافيا، ولغرض توفير الإطارات التي تساعدها على التسيير الإداري والسياسي ، ويندرج " ضمن الرسالة الحضارية "، التي تهتم بها فرنسا في تونس غير أن تلك السلطات لم تجد عند قيامها فراغا في الميدان التعليمي، فاتجهت إلى التفاعل مع النظم التعليمية الموروثة ومحاولة تكييفها.

أولا – التعليم العربي بتونس في بداية فترة الحماية :

كان التعليم داخل الايالة التونسية قليل وعديم الأهمية، بينما من الناحية الإحصائية كان حوالي 1700 تلميذا، موزعين على 500 مدرسة بكل قرية أو تجمع سكاني، ويتناولون داخل هذه المدارس القراءة والكتابة والقواعد الأولية للغة العربية[1]. وفي بداية ذلك العهد وبسعي من روسطان وجول فيري لبعث التعليم الفرنسي أحدث المقيم العام بول كامبون Paul Cambon إدارة التعليم العمومي، المعروفة لدى التونسيين بإدارة العلوم والمعارف، وهذا في 28 جمادى الآخرة 06/1300 ماي 1883م، وعهد برئاستها للمستعرب لويس ماشويل[2] " Louis Machuel " أستاذ اللغة العربية، وبدورها بدأت هذه الإدارة بتأسيس مدارس عربية – فرنسية للأهالي، وتوسيع نطاق المدارس

[1] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق، ص24.

[2] لويس ماشويل: ولد بالجزائر العاصمة سنة 1848م، وكان على علاقة متينة منذ طفولته بأوساط المسلمين الجزائريين فقد درس بالكتاب إلى جانب دراسته بالمدرسة الإبتدائية الفرنسية، وتربي منذ نعومة أظافره في الوسط الإسلامي، فحفظ بعضا من القرآن، ودرس النحو العربي، ولعل ذلك جعله يتجه إلى الإهتمام باللغة العربية إذ بعد دراسته بليسي الجزائر (Lycée d'Alger) وحصوله على البكالوريا في الأدب، تحصل على الكفاءة في تدريس اللغة العربية وأصبح أستاذ في المعهد العربي بقسنطينة، قبل أن يتحول ليدرس بليسي الجزائر، كما عمل متفقدا بمدرسة تلمسان التي كانت تعد الطلبة المسلمين للوظائف الدينية، أنظر: محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص29.

الفرنسية، وهي مفتوحة أمام الأطفال الفرنسيين وبقية الأوربيين[1]، وأطفال اليهود وبعض أطفال الأعيان، والغرض منها التمكين للشعب الفرنسي، بالإضافة إلى نشر اللغة والثقافة الفرنسية وكان الإقبال عن هذه المدارس يختلف من مكان إلى آخر حسب الموقف والأهمية التي تميزت بها[2].

ففي تونس وضواحيها حظيت المدارس بأعداد كبيرة من التلاميذ لان الأسر التونسية كانت ترغب في حصول أبنائها على مناصب في إدارة الحماية. أما في المدن الأخرى مثل سوسة والقيروان أو صفاقس كان شبيها بما كان وجد في تونس العاصمة ؛حيث قامت هذه المدارس بجلب أبناء الفئات الاجتماعية الميسورة والتي كانت منشغلة بالحفاظ على منشآتها الاقتصادية والاجتماعية ، أما في جنوب تونس فقد كان الرفض التام، إلا العدد القليل منهم ففي توزر مثلا وجد 58 تلميذا بالمدرسة الفرنسية العربية بالمدينة؛ 20 من بينهم فقط يواصلون بانتظام على تلقي دروسها رغم الضغوط المسلطة على الأهالي[3].

كما واصلت الإدارة مجهوداتها في بعث المزيد من المدارس الفرنكو–عربية عبر البلاد، وانتهجت أحيانا سياسة القهر والتسلط وأحيانا سياسة الإقناع بضرورة التفاهم والتقارب بين جالية المتفوقين وبين التونسيين وهذا ما سيؤدي إلى الفشل نظرا لمعارضة الأصوات المحافظة التونسية من جهة والمتفوقين من جهة أخرى، وأما بالنسبة للتعليم

---

[1] ريشارد ماكن: " لويس ماشوال والإصلاح التربوي بتونس خلال السنوات الأولى للحماية الفرنسية"، **المجلة التاريخية المغربية للمعهد الحديث والمعاصر**، ع03 جانفي 1975م، تونس.ص63. وأحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881 م – 1956م)، تع: حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، 1986م، ص 291. وكذلك : عز الدين معزة، فرحات عباس والحبيب بورقيبة "**دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م–2000م**، (أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث المعاصر)، إشراف د/عبد الكريم صفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة 2009م–2010م"، ص 67.

[2] محمد الحبيب بن الخوجة: المصدر السابق، 97– 175، و كذلك أنظر محمد بن الخوجة، المصدر السابق، ص 319.

[3] مختار العياشي: الزيتونة، المرجع السابق، ص 26.

الثانوي والعالي المقدم للتونسيين، باستثناء المعهد الصادقي ثم بعد ذلك مدرسة ترشيح المؤدبين التي أحدثت سنة 1894م[1]، الذي يتمثل في تعليم جامع الزيتونة بمراحله والتي كانت أكثر تنظيما من المدارس القرآنية الموجودة ،وكان للجامع الأعظم نظام داخلي ومهام خاصة تمثل الدين والشرع [2].

وفي 1885م كان بجامع الزيتونة حوالي 30 أستاذا من الدرجة الأولى (15 من المذهب المالكي و15 من المذهب الحنفي) – وحوالي12 أستاذا من الدرجة الثانية (06 من المذهب المالكي و06 من المذهب الحنفي) – وحوالي80 أستاذا مساعدا أو معاونا يستمدون رواتبهم من النكتة – وهي خصم من الرواتب المتأتية من غيابات الأساتذة المباشرين من الدرجة الأولى والثانية [3].

أما تركيبة طلبة جامع الزبتونة فكانت كالآتي: حوالي 600 طالبا قادمين من مختلف جهات البلاد ،وطلبة تونس العاصمة لهم بعض المميزات كانتمائهم إلى عائلات الموظفين، القضاة، العدول والتجار ويتابعون تكوينا خاصا.والمواد الأساسية التي كانت تدرس في المؤسسة الزيتونية فهي الحقوق الإسلامية وقواعد اللغة العربية وعلوم الدين، أما بالنسبة للطلبة القادمين من داخل البلاد , فإنهم كانوا أقل حظ من طلبة العاصمة وذلك على ثلاث مستويات :[4]

[1] هذه المدرسة المسماة أيضا بالمدرسة التأديبية، أو المدرسة العصفورية، تأسست سنة 1894م من طرف إدارة المعارف والعلوم، وجعل مقرها في مدرسة إبن عصفور المواجهة لباب جامع الزيتونة بسوق العطارين، والهدف من إنشاؤها هو إعداد مؤدبين " المؤدب: معلم الصغار في الكتاتيب القرآنية، ويسمى في تلك الفترة بالتعلم الإبتدائي، مؤهلين لتدريس التلامذة المبتدئين على أكمل وجه. انظر: محمد الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ص103.

[2] نفسه، ص103.

[3] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق ، ص 26.

[4] نفسه ، ص 27 .

أولا – لا يستفيد هؤلاء الطلبة بالإعفاء من الخدمة العسكرية بصفة عادية بل يجب عليهم اختيار مناظرة خاصة في هذا الغرض.

ثانيا – يسكنون مدارس قديمة بجوار الجامع .

ثالثا –الطلبة لديهم منحة في الشهر تدفع من عائدات الأحباس في بعض الأحيان[1].

تضاف إلى هذه المنحة بعض المداخيل المتأتية من تلاوة ما تيسر من القرآن خلال المناسبات في بعض الزوايا أو المساجد أو من بعض الدروس الخصوصية التي تقدم لأطفال بعض العائلات ذات الحال الميسور[2].

وقد يتعرض الطلبة القادمون من داخل البلاد إلي بعض الممارسات غير الشرعية التي كانت تمارس في حقهم داخل جامع الزيتونة من بعض العائلات الراقية التي كانت تحاول إقصاءهم من الحصول علي الشهادات والوظائف العليا كنتيجة لتفوقهم في الدراسة بالإضافة إلى عدم تكافؤ الفرص في الامتحانات والمناظرات التي كانت تجري بجامع الزيتونة للحصول على وظائف في مؤسسة العدل الشرعي أو في الإدارة التونسية، أما بالنسبة للدروس التي كانت تجرى في الجامع الأعظم، كانت حصة الدرس تدوم ساعة واحدة وكل مدرس مطالب بتدريس حصتين في اليوم الواحد صباحا ومساء، أما الطلبة الزيتونيون فكانوا لا يقومون بتمارين الكتابة ولا يستعملون الأقلام أثناء كتابة الدروس. فكل المجهود التعليمي كان يهدف أساسا إلى التركيز على القراءة وتنشيط الذاكرة[3].

[1] مختار العياشي: الزيتونه و الزيتونيين ، المرجع السابق، ص 27.

[2] خير الدين شترة: ج 1، المرجع السابق، ص 1012.

[3] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق ص ص 24–26.

أما الامتحانات بجامع الزيتونة فتجري كل نهاية سنة دراسية, و يرأسها شيخ الإسلام بإعانة بعض القضاة والمفتيين المالكي والحنفي وكذلك بعض الأساتذة الزيتونيين, ويقول لويس ماشوال فيما يتعلق بأسئلة الامتحانات يوجد بعض الطلبة يحصلون علي مواضيع الامتحانات, قبل إجرائها فيجتازونها بتفوق مع شكر وتهنئة الحاضرين[1].

ثانيا – سياسة فرنسا في التعليم بتونس:

قبل فرض الحماية في سنة 1880م قام لويس ماشوال كمستعرب وكمنتقد للتعليم العربي بالجزائر، بمهمة خبير في تونس مكلف بدراسة وإعادة التعليم داخل الجامع الأعظم، وفي المعهد الصادقي فلم يكن تعيينه كأول مدير للتعليم العمومي سنتين بعد قيام الحماية من قبيل المصادفة، وقد أعطى مرسوم الباي المؤرخ في 06 مارس 1883م للويس ماشوال صلاحيات واسعة ، وينص على أن ماشوال أستاذ لغة عربية مكلف بإدارة الشؤون التي تهم التعليم في تونس، وبموجب هذا المرسوم أصبحت سيطرته لا تختصر فقط على المؤسسات اللائكية بل تشمل أيضا التعليم الإسلامي بما فيه جامع الزيتونة، وقد كانت هذه الصلاحيات المعطاة للويس ماشوال تتجاوز الصلاحيات التقليدية للمشايخ المحافظين الذين لم يكونوا يخفون معارضتهم أو إعلان عدائهم ، إذ يرون في ذلك خطرا على تعليمهم التقليدي ونمطه الديني، ونتيجة لذلك , قام بعض الشيوخ المحافظين إلى تعليق بعض المناشير المنددة والمتوعدة, في مدخل الجامع الأعظم ضد لويس ماشوال الذي كان يؤمن بأن التعليم هو العنصر الفعال والمؤثر بالنسبة لمشروعه ,أو إنجاز نظام الحماية الفرنسية في تونس[2].

[1] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق، ص27.

[2] خير الدين شترة: ج1، المرجع السابق، ص 752.

– ولقد حاول لويس ماشوال، تسخير كل شيء من أجل جلب التونسيين إلى الانخراط أو على الأقل إلى تبني موقف إيجابي من الإصلاحات التي يسعى إلى تطبيقها، فكان يرى أن التعليم العصري الذي به يتمكن الشباب التونسي من الحصول على امتيازات داخل مصالح إدارة الحماية من شأنه أن يقلل من وحدة المعارضة إزاء نشر هذا النمط من التعليم وأن يكون أيضا أداة لإضعاف الشعور المناوئ للاستعمار بصفة عامة [1].

– يعتبر لويس ماشوال أن تطور موقف الوطنيين إزاء نشر التعليم العصري يتطلب زمنا واسعا، فمنذ ترأسه إدارة التعليم العمومي عمل على الرفع من أعداد التلامذة التونسيين، بالمقابل يجب عليه التعاون معهم بحذر حتى يخفف من حدة انتقادات أعدائه الأوساط المحافظة ويتجنب المعارضة أو الصراع في الميدان المدرسي[2].

– ولقد كان للويس ماشوال علاقات شخصية عديدة مع أعيان البلاد ، ومع بلاط الباي، من أجل نيل صداقة الجميع، وهكذا كان على دراية تامة بمسألة التعليم العربي في البلاد عموما وفي جامع الزيتونة بصفة خاصة وبذلك استطاع أن يضع الخطوط العريضة للسياسة الفرنسية منذ بداية الحماية في مجال التعليم[3].

ثالثا– مشروع لويس ماشوال لإصلاح التعليم الزيتوني :

عندما تولى لويس ماشوال إدارة التعليم العمومي في تونس بسط نفوذه على الجامع الأعظم، واقترح محمد القرطبي ناظرا ناجحا، وأكد لويس ماشوال للمقيم "بول كامبون" أنه يرى فيه إنسانا يستطيع إرشاده على كل ما يجري داخل جامع الزيتونة والتي بقيت

[1] مختار العياشي: الزيتونه و الزيتونيين، المرجع السابق ص 29.

[2] أحمد عبد السلام: "**جمعية قدماء الصادقية**"، الصادقية، ع2، تونس، أفريل 1996م، ص ص 42– 43.

[3] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق، ص 30.

على حد هذا الوقت خارج عملنا المباشر، لكن لما ذهب إلى حد تسمية بعض الأساتذة بنفسه في جامع الزيتونة ذكّر "بومبار" (كاتب الحكومة) على ضرورة توخي الحذر من ردود الأفعال لزعماء الدين التي قد تكون سلبية، كما حاول لويس ماشويل أن يبسط سلطته على جامع الزيتونة ويدمجه في أجهزة التعليم الرسمي، وتتجلى هذه المحاولة من خلال تدخله في تعيين الشيوخ النظار، وذلك لمدِّه بالمعلومات الدقيقة على كل ما يجري داخل الجامع، غير أنه لم يكن يجرؤ على تجاوز ذلك إذ كانت الأوساط الزيتونية تتميز بحساسيتها المفرطة تجاه كل تدخل من هذا النوع خوفا من تكون مؤسستهم تحت سيطرة هيئة غير إسلامية، ولغرض إضعاف هذه المعارضة كان ماشوال يقرب إليه بعض المشايخ الزيتونيين، وقام بربط علاقات حسنة مع الوزير الأكبر "**محمد العزيز بوعتور**" الذي قدم إليه توجيهات ونصائح ذات صلة بالتعليم الإسلامي[1].

– أصبح مشروع لويس ماشوال أكثر اتضاحا بعد تعيين روني ميلي سنة 1894م مقيما عاما لفرنسا بتونس، الذي كان متحمسا لإصلاح التعليم الزيتوني، حيث يقول لويس ماشوال بشأنه " أنه كان كثير الإصرار على ترك آثار لمروره بالإقامة العامة في تونس والمتمثلة في إجراءات لافتة بمحاولة إدخال إصلاحات جذرية على التعليم التقليدي الزيتوني، بتحديث الأفكار ومناهج التعليم وتقاليده داخل المؤسسة" وذهب روني ميلي إلى حد تشجيع وتدعيم المنتديات بالمال، والتي تنظمها جريدة الحاضرة، وكذلك المساهمة في تأسيس الجمعية الخلدونية في ديسمبر 1896م[2].

لقد كان للتقدم والتطور الذي حققته المدرسة الخلدونية الأثر الكبير في الوسط الزيتوني، مما جعل طلبة الجامع وبعض مدرِّسيه يطالبون بإدخال العلوم العصرية في

[1] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق، ص 34، 35.

[2] نفسه ص 37.

برامج التعليم الزيتوني، فاستغل لويس ماشوال تلك الفرصة لاقتراح تحويل جامع الزيتونة إلى مؤسسة عصرية وإلحاقها بأجهزة التعليم الرسمي، وطلب من الحكومة تشكيل لجنة لدراسة هذا المشروع، وقدم اقتراحات تتعلق بمراحل التعليم بجامع الزيتونة وتنظيم عمل المدرسين وطريق انتدابهم وإدخال العلوم التجريبية في برامج التعليم وتخصيص مقر منفصل عن الجامع لتدريسها[1].

أ- لجنة مشروع لويس ما شوال الإصلاحي :

اجتمعت **لجنة الاصلاح** سنة 1898م برئاسة الوزير الأكبر الشيخ **محمد العزيز بوعتور**، وكانت تضم وزير التعليم القلم والاستشارة "**محمد الجلّولي**" وأعضاء النظّارة العلمية وعلى رأسهم شيخ الإسلام "**محمد بيرم**"[2]، و7 مدرسين، والكاتب العام للحكومة "**برنار روا** (Roy)" ومدير التعليم العمومي **لويس ماشوال**، ورئيس جمعية الأوقاف "**البشير صفر**" [3].

أعلن الوزير الأول لحكومة الباي أثناء **الاجتماع الأول** للجنة المشكلة لهذا الغرض، يجب أن نعترف بأن برامج التعليم ومناهجه في الزيتونة في حاجة إلى تطوير، نظرا للوضع الراهن لما عليه وذلك حتى تكون أكثر نجاعة، لأن تدريس العلوم الدينية والقانونية كذلك اللغة والآداب العربية في الجامع لا تعطي في الحقيقة الرّغبة في متابعتها"، وتبعا لهذه المداخلة قدم لويس ماشوال مشروعه الإصلاحي الذي أعلن

[1] خير الدين شترة: ج1، المرجع السابق، ص 752.

[2] شيخ الاسلام: لقب تفخيمي أطلق منذ القرن 10 هجري على رئيس المجلس الشرعي الحنفي دون المالكي حتى 1932، حيث زال التمايز بين المذهبين بالتقليد الرئاسي للمجلس المالي، انظر بلقاسم الغالي : **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور- حياته وآثاره**، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان 1417هـ/1996م،ص 62.

[3] محمد البشير صفر : ولد بتونس 1280هـ، وزاول تعليمه بالصادقية منذ 1293هـ وأتمّ تعليمه بفرنسا وإشترك في إصدار جريدة "الحاضرة" وفي تأسيس الجمعية الخلدونية سنة 1314هـ ودرّس بها مادة التاريخ، اتصل بالشيخ محمد عبده أثناء زيارته إلى تونس وكانت وفاته سنة 1355هـ/1917م، بلقاسم الغالي، المرجع السابق، ص 36.

خـلاله أنه قـام بإصلاح التعليم العمومي العربي في الإيالة حسب المراحل الثلاث التالية : **التعليم الابتدائي، التعليم الثانوي والتعليم العالي،** واقتراح بعض التفاصيل لكل مستوى[1].

وبخصوص تكوين الطلبة أكد لويس ماشوال أنهم يجهلون تماما العلوم الصلبة الصحيحة، وأضاف بأن هذه المعرفة الآلية للكتاب المقدس تخصص للزيتونة في التعليم العالي فحسب، ويتخصص أساتذتها في مادة أو مادتين فقط، مع فرض المراقبة المستمرة على الطلبة، وتحسين مستوى التعليم وإعادة ضبط الكتب المدرسية حتى يتسنى إرساء دعائم لجامعة عصرية، حيث ذكر ماشوال أمام لجنة الإصلاح أنه إذا كان التعليم الزيتوني متطورا فإنه سوف يكون أفضل في محتواه وفي مناهجه، بذلك يصبح المستوى المعرفي والثقافي لسكان الإيالة في مستوى البلدان المتحضِّرة في أوروبا، فيما يخص تكوين الشباب المسلم، كان مدير التعليم العمومي أكثر نقدا خصوصا لما أكّد أنهم يجهلون تماما العلوم الصلبة "الصحيحة" وفي نفس السياق وباندفاع أيضا أضاف بأن "هذه المعرفة الآلية للكتاب المقدس ماذا تصلح لهم في هذا العالم لأي شيء"[2].

– وقد جعل لويس ماشوال العلماء الزيتونيين يحسون بأنهم معنيون بهذا النقد والتشكيك في القيام بمهامم على أحسن وجه وهذا ما جعلهم يرفضون مسبقا المشروع الإصلاحي الذي دعا إليه لويس ماشوال، ورغم أنه لم يقم إلا بوصف الحالة المزرية التي كان عليه التعليم الزيتوني مبينا أن "العنصر المحلي يجد نفسه الآن باتصال مباشر وأمام مزاحمة الأوروبيين وحتى إن كانت له ثقافة واسعة في العلوم الدينية

[1] الصجى بن منصور: **الزيتونة التاريخ وهامشه، قراءة تفكيكية في الظاهرة الزيتونية من النشأة إلى الإصلاح**، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، 2016، ص 56.

[2] خير الدين شترة: ج1، المرجع السابق ص 755.

الإسلامية وفي غياب إلمام تكوين عصري يعطي مكانة للعلوم الدنيوية، في وضع أدنى وأقل حظا يمنعه من النجاح في المهن التي يستطيع تعاطيها"[1].

– وبعد أسبوع من اجتماع اللجنة اقترح الوزير الأول الذي كان يترأسها مناقشة المسألتين العويصتين وهما: تدريس العلوم الدينية وتدريس العلوم الصعبة الصحيحة في الجامع الأعظم، لكن موقفه كان متحيزا للوضع القديم للمؤسسة، وفي نفس الاتجاه أضاف البشير صفر من ناحيته بوضوح أن تعليم العلوم لن يتم داخل الزيتونة لكن في الخلدونية[2] ، وحسب جدول أوقات حتى لا يكون على حساب تدريس العلوم الدينية في الجامع الأعظم، أما شيخ الإسلام محمد بيرم فكان أكثر حسما، إذ يرى أن التعليم الحالي بالزيتونة يجب أن يبقى كما كان دون تغيير وكذلك الأمر بالنسبة للتعليم في جميع المدارس القرآنية عموما[3].

– أما موقف الشيوخ المتفقدين للتعليم بالزيتونة فقد كان أكثر تشددا إذ طالبوا بالإبقاء على الوضع كما هو عليه حتى لا تضعف مكانة مؤسستهم، وحتى تحافظ على وجودها ودليلهم في ذلك أن لا يتجاوز خطاب شرعيتهم، إذ أكدوا في تقريرهم أمام اللجنة ضرورة معرفة التعاليم الدينية المدنية التي يدرسها التعليم الزيتوني وهذا لغرض

---

[1] خير الدين شترة: ج1، المرجع السابق ص 756.

[2] تأسست الجمعية الخلدونية في 18 رجب 1314هـ/1896م، وأهم من سعى لتأسيسها خريجي المدارس العصرية وأبرزهم محررين بجريدة "الحاضرة" من خريجي الصادقية، عملوا على إستصدار قرار من الوزير الأكبر "بوعتور" يقضي بإنشاء جمعية ثقافية شعبية حرة، لنشر الثقافة العصرية والإطلاع على مقومات الحداثة، ترأس الخلدونية عند تأسيسها الأستاذ محمد الأصرم (1858م–1925م) وساندها بادئ الأمر المقيم العام "لويس ريني ميلي" كما ساندها الشيوخ المنفتحين على الإصلاح أمثال الشيخ سالم بوحاجب، كان مقر الجمعية بزنقة إبن عصفور المواجهة لجامع الزيتونة، وأكبر دافع لإنشاء الخلدونية، حاجة تلامذة الزيتونة للعلوم التي لم تندرج في برامج تعليمهم، انظر: محمد العيد قدع، عبد الرزاق هزبري، **الجهود التعليمية للشيخين محمد الطاهر إبن عاشور وعبد الحميد إبن باديس "دراسة مقارنة"**، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الحديث والمعاصر)، إشراف د/محمد السعيد عقيّب، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية – جامعة الوادي – السنة الجامعية 2013م–2014م، ص15.

[3] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين ، ص 40 .

الحفاظ على تحضر المجتمع وعلى المكانة التي يحتلها في ركب العالم المتحضر وهذا طبعا مزج ما بين موضوع الهوية وموضوع إصلاح التعليم، وكان تطوير التكوين الزيتوني يمثل في رأي المحافظين خطرا يهدد الهوية، وفي هذا الصدد أكد البشير صفر بصفته رئيس الجمعية الخلدونية بأن اللغة العربية هي لغة ميتة ومن هنا تعتبر محاولة "دمج تعليمنا الغربي في التعليم الحالي للمدارس الأوروبية أين تدرس العلوم بلغات عصرية، يكون من الخطأ الكبير" وأضاف منتقدا أن "مشروع لويس ماشوال هذا هو مُعَد بصفة تجعله لو يطبق يكوِّن رجالا مثقفين عوضا عن علماء دين"[1].

– أمام عدم الانسجام بين وجهات النظر للويس ماشوال من جهة وشيخ الجامع الأعظم من أخرى اقترح الوزير الأكبر في حكومة الباي تكوين لجنتين فرعيتين الأولى مكلفة بدراسة التغييرات التي يجب إدخالها على التعليم الزيتوني مثل نظام انتقال الطلبة من قسم لآخر، واللجنة الثانية مهمتها البحث في طرق تنظيم وإدخال المواد العلمية الصعبة في برامج المؤسسات التربوية الأخرى "المدارس القرآنية" دون الجامع الأعظم، وهكذا تكونت جبهة من رافضة لمشروع مدير التعليم العمومي من كل العلماء والأعيان التقليديين بما فيهم رئيس اللجنة الوزير الأكبر للباي، الذين تحولوا إلى معارضة شديدة لكل تجديد أو تغيير مقترحين على الأكثر في هذا الشأن إعادة النظر إن أمكن في الأمر الذي يهم القانون الداخلي لمؤسسة الجامع الأعظم لسنة 1875م زمن خير الدين باشا[2].

وبعدها قرر لويس ماشوال وروى الكاتب العام لحكومة الحماية مقاطعة الاجتماعات الأخيرة، وكانت الخيبة الأخرى لمدير التعليم العمومي، تتمثل في غياب دعم العناصر الإصلاحية من بين بعض الشيوخ الذين وضعهم في خطته مثل رئيس الجمعية

[1] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق، ص ص 40 – 42.

[2] نفسه، ص 42.

الخلدونية الذي تراجع عن موقفه المعروف بسبب الضغط الممارس من قبل التحالف التقليدي، وذلك باقتراحه تنظيم العلوم الدنياوية في الخلدونية نهاية اليوم حتى لا يكون ذلك على حساب توقيت دروس العلوم الدينية بالجامع الأعظم[1].

ب – نتائج أشغال لجنة مشروع لويس ماشوال

وبعد صراع ونقاش دام قرابة الأسبوعين في المداولات قررت اللجنة المتكونة من الشيوخ الزيتونيين والأعيان والمحافظين، رفض مشروع إصلاح التعليم الزيتوني وإبقاء الوضع القديم على حاله دون تغيير مع إدخال بعض الإجراءات الجزئية التي تهم المؤسسة الخلدونية والمتمثلة في:

*إدخال تعليم مواد جديدة بالخلدونية مثل التاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة[2].

*تحديد المقاييس التي يستطيع من خلالها طلبة الجامع الأعظم متابعة هذه الدروس بالخلدونية [3].

وقد علق الشيخ الطاهر بن عاشور على رفض تلك الاقتراحات بقوله : « فتلقاها شيوخ جامع الزيتونة بسوء الظن وتخيلوا أنها شرك نصت ليبطل العلوم الإسلامية ويجعل تعليم جامع الزيتونة على ما يهواه، فصمموا على معارضته بتاتا بكل قواهم،

[1] كان برنامج تدريس العلوم في الخلدونية منظم على النحو التالي:
في السنة الأولى : الحساب والهندسة، وفي السنة الثانية : جغرافيا وتاريخ وحساب، وفي السنة الثالثة : تاريخ وهندسة تطبيقية وهكذا يكون بحساب ساعتين لكل مادة تقسم على يومين من الأسبوع، انظر مختار العياشي، الزيتونة، المرجع السابق ص43.

[2] عبد الباسط الغابري: **المؤسسة الزيتونية والاصلاح**، محاضرة قدمت في ندوة المؤسسة الدينية في الاسلام، المنعقدة في تونس العاصمة بتاريخ 29 و30 نوفمبر 2014و هي ضمن منشورات إلكترونية، مؤسسة مأمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث 2015. WWW.MOMINOUN.COM

[3] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق، ص44.

وتلك عادة عرفوا بها، أنهم لا يجعلون مباحثهم في التفاصيل والكيفيات، بل يغلقون باب المباحثة ويقاومون كل طلب للإصلاح ولو كان صوابا، وهذه طريقة الحذر إنما تأتي من قلة غوص الأفهام في المساعي[1] ».

المبحث الثاني: ردود الأفعال تجاه الإصلاحات في الفترة الممتدة ما بين (1881 – 1910م)

إن المحاولات الإصلاحية للتعليم، التي أبدتها سلطة الحماية وحكومة الباي لم تكن متوافقة مع تطلعات العلماء المحافظين والطلبة، وعليه سوف نتطرق إلى هذه المواقف المتعددة تجاه الإصلاحات.

أولا – ردود فعل العلماء المحافظين[2]

تجاوزت ردود علماء الدين إطار الاجتماعات والمداولات، فقد أرسلوا الاحتجاجات إلى وزارة الخارجية الفرنسية معلنين عن قلقهم الكبير من مشاريع "لويس ماشوال" مدير التعليم العمومي المدعوم من طرف المقيم العام "روني ميلي"، وحتى لا يقع في نفس الزلات والأخطاء التي تم الوقوع فيها الشأن التعليمي التقليدي بالجزائر فقد وجه وزير الخارجية الفرنسي برقية للمقيم العام في تونس موضحا له فيها عن مشروع إعادة تنظيم التعليم الزيتوني، وبشأن تخوفات واهتمامات جميع الأوساط المعارضة، وفي المقابل كانت هناك مكافحة شرسة للشيوخ المتفقدين للتعليم الزيتوني ضد إدخال أي تغيير على التعليم التقليدي، فقد أسفرت بعد تكوين لجنة الدراسات العربية عن إعطاء أو تحويل

[1] الساحلي حمادي: المرجع السابق، ص141.

[2] هم فئة العلماء الذين كانوا ينادون بالتمسك بأصول الدين الاسلامي وكان موقعهم ضد الاصلاح منشأه: التزمت أحيانا بالخوف من أن المنهج التجديدي سيضعف الجامع – التنافس بين العائلات العريقة حول ريادة الجامع بحجة أن هذا النظام أخرج علماء أفذاذ، انظر: محمد الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ص 104 وبلقاسم الغالي: المرجع السابق، ص ص 13-14 .

الإشراف من الشؤون الزيتونية إلى الكتابة العامة للحكومة، عوضا عن إدارة التعليم العمومي وذلك بداية من سنة 1900م[1].

وبقيت مقاومة الشيوخ المحافظين للتأثير الفرنسي على الساحة الثقافية بمثابة ردود الفعل الشرعية في حد ذاتها، وهذا ما يؤثر على حق ومصالح طلبة الجامع الأعظم الذين يصبحون ضحايا باسم الشرعية وهو ما يدل على رفض النخبة الدينية المحافظة لأي محاولة للتجديد أو إصلاح التعليم الزيتوني[2].

وأمام المشروع الإصلاحي في جامع الزيتونة وردود الفعل المناوئة للعلماء أكّد "كلود روي" إلى "لويس ماشوال" بأن هؤلاء "خوفا من إمكانية دخول نظامنا التعليمي إلى الجامع الأعظم، كانوا يخشون إخضاع مؤسستهم لمصلحة إدارية غير إسلامية والتي سوف تمارس معها نظام الوصاية". ومن هنا يوصي لنا المنطق السياسي بضرورة تجنب الصراع على أرضية التعليم الديني[3].

ثانيا – دور الحركة الطلابية في بناء وعي جديد لدى مشايخ الزيتونة وطلبتها

كان لحركة التجديد الإسلامي بزعامة الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده تأثير بارز فيهم، الذي تجلى بوضوح من خلال جمعية العروة الوثقى التي كانت تضم في عضويتها محمد بيرم والشيخ محمد السنوسي، وبفضل دعوة هذا الأخير انخرط في الجمعية عدد من المثقفين والعلماء[4].

[1] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق، ص 45

[2] نفسه، ص 45.

[3] نفسه، ص 46.

[4] محمد الفاضل بن عاشور: "الشيخ محمد السنوسي، **المجلة الزيتونية** ج3، مجلد 8، ص144.

وكنتيجة للتواصل بين حركة الجامعة والتجديد في تونس فقد صارت جريدة العروة الوثقى تصل إلى تونس، حيث يذكر أندري جوليان أنه صدر منها ثمانية عشر عددا قبل تعطيلها[1].

وقد قامت مجلة العروة الوثقى بتنوير عقول مشايخ الزيتونة وطلبتها، فاقتفوا أثرها داعين التونسيين إلى النهوض لاسترجاع المجد الضائع وتحطيم قيود الذل والتعلق بأسباب الحياة والحضارة . وقد كان محمد عبده من أكثر الدعاة إلى وجوب إدخال العلوم التجريبية كالرياضيات والكيمياء وغيرها[2].

وقد قام محمد عبده بزيارة تونس سنة 1884م والتي استهوته لما ظهر بها من بوادر العمل الإصلاحي الذي كان يقوم عليه فكره[3]، وتعتبر هذه الزيارة هي الأولى، حيث أقام بها أربعين يوما تعرف فيها على الأعيان والعلماء، وحضر الدروس بجامع الزيتونة الأعظم، وامتزج بالإصلاحيين هناك[4]. ونتيجة لهذه الزيارة بدأت علامات التغيير تظهر، حيث وجهت انتقادات شديدة للتعليم الزيتوني الذي ظل رافضا العلوم العصرية وقد كانت هذه مقدمة المطالب الإصلاحية [5].

---

[1] شارل أندري جوليان: **المعمرون الفرنسيون وحركة الشبان التونسيين**، تعريب محمد مزالي، تونس، ص47.

[2] محمد الفاضل ابن عاشور: **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، الدار التونسية للنشر، 1983، ص112.

[3] المنصف الشنوفي : مصادر عن رحلتي الأستاذ محمد عبده إلى تونس، **مجلة حوليات الجامعة التونسية**، ع3، 1966م، ص71.

[4] رابح فلاحي: المرجع السابق، ص 58.

[5] وسام نويري : **دور الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم بتونس 1879م-1973م** (مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ العالم المعاصر)، إشراف منى صالحي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، السنة الجامعية 2015م-2016م.

وفي الزيارة الثانية للشيخ محمد عبده ألتف حوله رجال الخلدونية [1] مثل الشيخ بوحاجب والشيخ محمد الطاهر بن عاشور، فألقى الإمام أثناء هذه الزيارة محاضرة بالجمعية الخلدونية عشية 20 سبتمبر 1903م بعنوان " العلم وطرق التعليم " وقد أوضح فيها أراءه وأفكاره حول قضية إصلاح التعليم في البلدان الإسلامية، وكان لها تأثير بالغ على الوسط الإصلاحي والطلابي [2] وأصبحت مرجعية للعمل الإصلاحي الزيتوني [3].

ونتيجة لهذا الفكر الإصلاحي التجديدي الذي نشره محمد عبده في كامل الوطن العربي الإسلامي، تلقته النخبة التونسية بصدر رحب وراحت تنسج على منواله الفكر الجديد الذي يستجيب لمتطلبات العصر. في حين ظل بعض المحافظين وخاصة الزيتونيين يرفضون هذا التوجه متمسكين بالتقاليد القديمة [4].

وقد قامت الخلدونية بدورها في نشر الوعي، بتأخير الحالة التي كان عليها التعليم الزيتوني ولذلك رأت جماعة الحاضرة بزعامة البشير صفر، إحداث الجمعية الخلدونية

[1] تأسست الخلدونية بقرار من الوزير الأكبر لتدريس العلوم العصرية التي لا تدرس بجامع الزيتونة كالتاريخ والجغرافيا والاقتصاد السياسي والفيزياء والكيمياء والجبر والهندسة وحفظ الصحة واللغة الفرنسية وهذه العلوم يضمنها مشروع خير الدين لإصلاح العلوم بجامع الزيتونة سنة 1876م إلا أنها لم تتدرج في برامجه بسبب معارضة الشيوخ المحافظين الذين رأوا في إدخالها مزاحمة العلوم الشرعية وتنقيصها من أهميتها وبالتالي تغير الطابع الديني للتعليم الزيتوني، محمد الطاهر ابن عاشور: المصدر السابق، ص 93.

[2] الصحبى بن منصور: المرجع السابق، ص 183.

[3] محمد الفاضل بن عاشور: المرجع السابق، ص 125.

[4] جلال يحي: **المغرب العربي الكبير وحركات التحرر و الإستقلال**، ج4 (الفترة المعاصرة)، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص239.

لتعليم العلوم العصرية واللغة الفرنسية لطلاب جامع الزيتونة، وإكمال النقص الحاصل في برامج التعليم الزيتونة[1].

وقد وجدت الدروس والمحاضرات الخلدونية التي كانت تقام داخل وخارج المؤسسة رواجا واسعا لدى طلاب الزيتونة، لما فيها من جدة في الفكر والأسلوب، وهو ما لم يعهدوه سابقا في جامع الزيتونة وبالأخص محاضرات التاريخ الإسلامي [2] للبشير صفر التي بث من خلالها في نفوس الطلاب شعور الاعتزاز بالماضي المجيد، ويحرك فيهم الإحساس الوطني، مبينا لهم أسباب تخلف المسلمين، وسبل التخلص من ذلك، وحينها بدأ الطلاب المقارنة بين التعليم بالمدرسة الخلدونية وبجامع الزيتونة، فوجدوا مفارقة شاسعة بين النوعين من التعليم، وهذا ما دفعهم إلى المطالبة بإصلاح التعليم بجامع الزيتونة، بالإضافة إلى العدد الوافر من الجرائد المصرية والسورية في تونس مثل : جريدة " ثمرات الفنون "، الشامية، " المؤيد "، " الأهرام"، " والمنار "، " ومصباح الشرق " المصريات، وفيها من المقالات العلمية والاجتماعية الكثير فصار الحديث عن الإصلاح يجري بين التلامذة في مجالسهم بالجامع الأعظم[3].

[1] جماعة الحاضرة: هي الدفعة الأولى التي تخرجت من المدرسة الصادقية، والتي أوفدت الحكومة التونسية قبل الإحتلال معظم أفرادها إلى فرنسا والبقية إلى تركيا وإنجلترا لواصلة تعليمهم العالي بهذه البلدان وما إن عادوا إلى وطنهم حتى تجاوبوا مع دعاة الإصلاح من رفقاء خير الدين.

[2] كانت هذه المادة غير مدرجة في برامج التعليم الزيتوني لأن الشيوخ المحافظين يعتبرون التاريخ مجموعة من الأقاصيص، والأخبار، لا ينبغي أن يهتم بها الطالب، الطاهر الحداد: المصدر السابق، ص39.

[3] سليمان الشواشي: " الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وبرنامجه الإصلاحي للتعليم بجامع الزيتونة"، **مجلة الهداية**، تصدر كل 3 أشهر، العدد 195، أكتوبر نوفمبر ديسمبر 2015، مطبعة أوزيس للطباعة نهج المملكة السعودية 1002، تونس، ص66.

وفي ربيع الأول 1901م كتبت جريدة الحاضرة [1] فصولا تنتقد بها سلوك النظارة العلمية في أحوال التعليم والامتحان، منها في عدد 201 مقال عنوانه " صفر بصفر " أثار ضجة في أوساط المتعلمين والعامة وانقسموا بسببه إلى مؤيد ومعارض، وهو ما دفع شيخ الإسلام محمود بن الخوجة إلى مطالبة الوزير الأكبر محمد العزيز بوعتور، بحجر الصحف العربية عن التكلم في المسائل الدينية وفي مقدمتها مسألة جامع الزيتونة. ولم تكن جريدة (الحاضرة) معنية وحدها، بقضية إصلاح التعليم بجامع الزيتونة، حيث نشرت جريدة " إظهار الحق "[2]، في عددها الصادر في 25 شوال 1323هـ في ديسمبر سنة 1905م مقالة تحت عنوان " التدريس بجامع الزيتونة " انتقد كسل المدرسين وتقصيرهم في ترقية مدارك التلامذة، وتطويل مدة القراءة، فأغضب بها الزيتونيين ورد عليه بعض أساتذتهم وهو الشيخ محمد النخلي مقالا في جريدة الزهرة الصادرة في 28 ذي القعدة سنة 1323هـ وفي 22 يناير سنة 1906م تحت عنوان " التدريس وأرزاق أهله " [3].

وقد أثر انشغال الصحف الشرقية والتونسية بقضية إصلاح التعليم العربي الإسلامي تأثيرا بالغا في بث الوعي في نفوس الطلاب الزيتونيين بقضيتهم المصيرية والعمل على توحيد صفوفهم وتطوير أساليبهم في الاحتجاج. وقد اهتم العمل الصحافي

[1] أول جريدة وطنية صدرت بتونس بلا إنقطاع من سنة 1888م–1911م من قبل الشباب التونسي المتحرر، بإدارة الأستاذ علي بوشوشة خريج الصادقية، وبمساهمة رجال الإصلاح أمثال الشيخ سالم بوحاجب والأستاذ بشير صفر والشيخ محمد السنوسي والشيخ صالح عباس، وبن الخوجة كما دعمها المقيم العام لويس ريني ميلي، لسانها ناطق بالعربية، وتنادي بضرورة إصلاح أوضاع التونسيين المتردية، أنظر: أحمد القضاب : **تاريخ تونس المعاصر (1881م–1956م)**، تع حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، 1986 ص327 وكذا محمد الحبيب ابن الخوجة، المصدر السابق، ص175.

[2] إظهار الحق صاحبه أحمد القبائلي، صدر عددها الأول في 10 ماي 1904م ولم تعمر طويلا، كانت مناهضة للمنار والشيخ محمد عبده.

[3] محمد الطاهر ابن عاشور: المصدر السابق، ص ص118–119.

بالتعليم الزيتوني تجلى الأثر الواضح في الضغط على الجبهة المعارضة للإصلاح كي تراجع مواقفها وتنصت إلى المنادين بالإصلاح[1]، كما ذكر الشيخ ابن عاشور أثناء حديثه عن الأسباب المباشرة للشروع الفعلي في طلب الإصلاح والتي من بينها سوء معاملة النظارة للطلاب فقال " إن الطلاب يدعون أن النظار لا يعاملونهم معاملة الأبناء، كما تقتضيه الأخلاق الإسلامية وأصول التربية والتعليم في الإسلام، القائمة على الشفقة والرفق بالمتعلمين، وإجراؤهم مجرى الأبناء، ولا يقدمون لهم النصح والإرشاد فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم، فالنظار كثيرا ما يظهرون العبوس والغضب والسخط وحب التعجيز في أسئلة الامتحان" [2].

وقد أبدى الطلاب رفضهم لهذه التصرفات فاهتز في نفوسهم احترام النظارة حتى أصبحوا ينتقدون أعمالها، ويحتجون على أحكامها، وازدادت العلاقة بين النظارة والطلاب سوءا بسبب العديد من الأحداث، التي وجدت في الحياة التعليمية ولم تعالج، ولم تلتزم فيها بالقوانين المنظمة، سواء بعدم تطبيق القوانين المنصفة للطلاب، أو التحيز ضدهم ولو كانوا على حق وأيضا عدم الاستجابة لمطالبهم المشروعة، فشعر الطلاب بالتسلط والتعسف والقهر فقرروا الإضراب في أفريل 1910م[3].

ثالثا – إضراب طلبة جامع الزيتونة سنة 1910

أصبح التعليم بجامع الزيتونة ضعيفا مهترئا، فالنظارة العلمية[4] عاجزة مطلقا عن إدارته بحكمة وتبصر وعن تحقيق ما يصبو إليه الشيوخ والطلاب من تحديث ومجاراة

[1] سليمان الشواشي: المرجع السابق، ص 74.

[2] محمد الطاهر ابن عاشور: المصدر السابق ص223.

[3] سليمان الشواشي: المرجع السابق ص69.

[4] النظارة العلمية: هي الهيئة التي تتولى الإشراف والتسيير مؤسسة التعليم بجامع الزيتونة بموجب القانون الذي أصدره أحمد باشا سنة 1842 ،انظر محمد الطاهر بن عاشور، المصدر السابق ص 222.

للعصر، والسلطة الاستعمارية تنصلت من مسؤولياتها وأرجعت أمر الإشراف على جامع الزيتونة إلى الوزير الأكبر وهو الكاتب العام للحكومة (روا.Roy)[1]، الذي لم يكن يريد إصلاحا لهذه المؤسسة بل كان يهدف إلى تهميشها، لأن وجودها يتعارض مع الأهداف الاستعمارية فضلا عن تطويرها وجعلها مواكبة للعصر. وبذلك تراكمت مشاكلها وازداد ضعفها، مما جعل الطلاب يشعرون أنهم هم الضحايا فعزموا على تغيير أوضاعهم بأيديهم، وذلك باللجوء إلى الإضراب الذي يعد في نظر السلطة تحديا خطيرا، ومما شجع الطلاب على الإقدام على هذا الإضراب الأخبار الواردة من مصر، وهي أن طلاب الأزهر قد أضربوا عن الدراسة للمطالبة بالإصلاح، فابتهجوا بذلك وأقبلوا على اقتناء الجرائد التي تحمل هذه الأخبار، وكان ذلك أول دافع لهم بوجوب الإصلاح[2].

كما ذكر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور أثناء حديثه عن الأسباب المباشرة للشروع الفعلي في طلب الإصلاح والتي من بينها سوء معاملة النظارة للطلاب فقال : « إن الطلاب يدعون أن النظارة لا يعاملونهم معاملة الأبناء، كما تقتضيه الأخلاق الإسلامية وأصول التربية والتعليم في الإسلام، القائمة على الشفقة والرفق بالمتعلمين، وإجراءهم مجرى الأبناء، ولا يقدمون لهم النصيحة والإرشاد فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم، فالنظار كثيرا ما يظهرون العبوس والغضب والسخط وحب التعجيز في أسئلة الامتحان، ولقد كان لهذه المعاملة السيئة رد فعل من قبل الطلاب فزال في نفوسهم احترام النظارة حتى أصبح ينتقدون أعمالهم ويحتجون على أحكامها الجائرة، وازدادت العلاقة بين النظار والطلاب لغطا وفوضى بسبب العديد من الحوادث، التي حدثت

[1] كان الخلاف قائما في تبعية جامع الزيتونة بين مدير إدارة العلوم والمعارف (لويس ماشوال) وبين الكاتب العام (روا) فجاء المقيم العام (ستيفن ليستوي) وحسم الأمر بأن جامع الزيتونة تابعا للوزير الأكبر، أنظر: محمد الطاهر بن عاشور: المصدر السابق ص 134.

[2] سليمان الشواشي: المرجع السابق، ص70.

في الحياة التعليمية، والتي لم تتحسن معالجتها بل لم تلتزم فيها بالقوانين المنظمة، سواء بعدم تطبيق القوانين المنصفة للطلاب أو التحيز ضدهم ولو كانوا على حق، وأيضا عدم الاستجابة لمطالبهم المشروعة فشعر الطلاب بالتسلط والتعسف والقهر، فقرروا الإضراب في أفريل 1910.» [1]

لقد بدأت هذه الأحداث بتكوين لجنة طالبية ترأسها إبراهيم بن شعبان ضبطت برنامجا لنشاطها، يتمثل في تقديم مطالب للحكومة والنضال من أجل تحقيقها عبر التظاهر والاجتماع والإضراب، ولقد قابلت هذه اللجنة يوم 07 مارس 1910 الكاتب العام للحكومة برنار روا قصد الترخيص لها في الإمضاء على عريضة المطالب والقيام بمظاهرة[2]، وفي يوم الجمعة 11 مارس اجتمع حوالي أربعمائة طالب بجامع الزيتونة، تدخل العديد منهم في ذلك الاجتماع وقد برز خاصة من بينهم إبراهيم بن شعبان، وأفضى الاجتماع إلى تقديم عريضة إلى الحكومة تتضمن المطالب التالية[3] :

*جعل مواعيد الدروس قارة تلقى في أيام وساعات معينة.

*إرغام المشايخ على الإتيان بأسباب معقولة في صورة تغيبهم عن الدروس.

*تلقين دروس الجغرافيا والتاريخ بصفة منتظمة من طرف أساتذة اختصاصيين.

[1] عدد الشيخ ابن عاشور هذه الحوادث التي تعد في نظره أسباب مفضيه للشروع في الإصلاح ، انظر: محمد الطاهر بن عاشور: المصدر السابق، ص 224.

[2] نفسه، ص225.

[3] محمد ضيف الله: المرجع السابق ص107.

*الترخيص لذوي الكفاءة من التلامذة في التقدم للامتحانات في السنة الثالثة، ولم تكن سنوات الدراسة محددة قبل التطويع وكل ما هناك أن ختم الكتب المطلوبة لتلك الشهادة كان يتم في خمس سنوات [1].

*الإعفاء من المجبي والخدمة العسكرية.

*الاعتناء بمدارس السكنى بترميمها وصيانتها[2].

*وكان رد الحكومة أن قامت بعد أربعة أيام أي 15 مارس بتشكيل مجلس لإصلاح التعليم الزيتوني، وقد وجد الطلاب الدعم والمساندة من زعيمي الحركة الوطنية وهما الشيخ عبد العزيز الثعالبي وعلي باش حامبه، فالشيخ الثعالبي كان أكثر الناس معرفة بما يعانيه نظام التعليم بجامع الزيتونة من اختلال وضعف[3].

وفي غياب رد إيجابي اجتمع الطلبة يوم 15 أفريل 1910 للنظر في أساليب متابعة حركتهم، ومن الغد قرروا منع بعض المدرسين من إلقاء دروسهم وفي يوم(18 أفريل 1910) أعلن الطلبة ولأول مرة في تاريخ المؤسسة الإضراب عن الدروس متظاهرين في الشوارع في ممر الباي[4]، مما أدى بالسلطات الاستعمارية إلى قمع هذه المظاهرات ونتج عنها القبض على17طالبا منهم 8 طلبة تم سجنهم و5 طلبة تم إرسالهم في إقامة جبرية إلى المناطق العسكرية بالجنوب و4 طلبة تم طردهم من الجامع الأعظم[5].

---

[1] الطاهر الحداد: المصدر السابق ص58.

[2] محمد ضيف الله: المرجع السابق ص 108.

[3] علي الزيدي: **الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904– 1945م** ط1 مارس 2007 المطبعة دار النهى صفاقس، مكتب علاء الدين، ص 187.

[4] مختار العياشي: الزيتونة، المرجع السابق، ص64.

[5] علي الزيدي: المرجع السابق ص194.

أما الاتهامات المنسوبة ضد هؤلاء الطلبة فهي المظاهرات, وأحداث الشغب وطلب إعادة برامج التعليم بالجامع الأعظم، وعلى إثر هذه الإحداث كلف طلبة الجامع الأعظم المحاميين حسن القلاني وأحمد السافي والوكيل محمد العبدلي كواسطة بينهم وبين السلط للتفاوض حيث كونوا وفدا بينهم يضم 13 عضوا، مهمتهم عرض المطالب الطلابية على السلط المعنية، وفي يوم 28 أفريل 1910 عاد الطلبة إلى متابعة دروسهم بعد موافقة على بعض المطالب كإطلاق سراح الطلبة المسجونين، ونظرا لشرعية الإضراب وجد إضراب الطلبة بالجامع الأعظم دعما كبيرا لدى الأوساط الشعبية مما زاد في التوتر الشائع لدى الرأي العام الذي يمثل دعما غير مشروط لمثل هذه التحركات[1].

[1] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق ص65.

– الفصل الثالث –

إصلاح التعليم في جامع الزيتونة خلال الفترة الممتدة ما بين (1912-1938)

المبحث الأول – اصلاح التعليم في جامع الزيتونة ما بين (1912 – 1924م)

أولا – اصلاحـــات التعليم بجامع الزيتونة سنة 1912

ثانيا – اصلاح التعليم الزيتوني سنة 1924

المبحث الثاني – إصلاح التعليم الزيتــوني في خــلال الفترة المـمتدة مــا بيــن (1930 – 1938م)

أولا – إصلاح التعليم الزيتوني في سنة 1930

ثانيا – إصلاح التعليم الزيتوني سنة 1938

المبحث الأول – اصلاح التعليم في جامع الزيتونة ما بين (1912 – 1924م):

أولا – اصلاحـــات التعليم بجامع الزيتونة سنة 1912:

إن أول أهداف الإضراب الأول الذي شنه الزيتونيون في شهر أفريل 1910م تمثل في المطالبة بتجديد برامج التعليم المعمول بها في الجامع الأعظم. فـعلى إثر الاجتـماع العـام الذي عقده الطـلبة في 11 مارس 1910م بالجامع الأعظم، حيث كان عـددهم يقارب 800 طـالبا، طـالبوا على وجـه الخصـوص بالتالي [1]:

*إعادة تنظيم التعليم الزيتوني والإصلاحي، سواء من حيث الناهج الدراسية او من حيث الأساليب التربوية.

*تلقـين دروس الجـغرافيا والتـاريخ بصـفة منتـظمة مـن طـرف اسـاتذة اختـصاصيين.

*احداث شهادة حتم الدروس بالمرحلة الأولى " الاهلية " لتمكين الطلبة الذين لا يستطيعون المام كامل مراحل الدراسة بالجامع الأعظم من البحث عن مواطن شغل.

*اعفاء الطلبة الزيتونيين من الواجب ومن الخدمة العسكرية وقد كان هذا الاعفاء مقصورا على حملة بعض شهادات التعليم الرسمي.

*مراقبة حضور المدرسين[2]: حيث كان بعض الأساتذة يجمعون بين حصة التدريس وبين بعض المهام الأخرى التي لم تكن تترك لهم الوقت الكافي للقيام بمهمة التدريس على احسن وجه ممكن .

[1] مختار العياشي الزيتونة: المرجع السابق ص 72.

[2] كثيرا ما كان الطلبة يشتكون من كثرة غيابات بعض المدرسين ويطالبون بتحديد ايام وساعات الدروس ومطالبة المدرسين بتعليل غيابهم، انظر: نفس المرجع، ص 72.

*الترخيص لذوي الكفاءة من التلاميذ بصفة منتظمة في السنة الثالثة، ولم تكن سنوات الدراسة محددة قبل التطويع[1].

جينها اضـطرت الحكـومة الى تأليف **لجنة حكومة الباي وعرفت باللجنـة الإصـلاح لسنة 1912** قصد النظر و التمحيص في مطالب الطلبة التي بلغ عددها 6 مطالب تخـص التـدريس، إضـافة إلـى إدراج مـواد حديثـة كالتـاريخ و الجغرافيـا، و الإعفـاء و مراقبة كل من الدروس و الطلبة و المدرسين و جاءت اللجنة مؤلفة من: [2]

- الرئيس: **الطبيب الجلولي** وزير القلم والاستشارة.
- **الشيخ احمد بيرم:** المفتي الحنفي.
- **الشيخ محمود بن محمود** : القاضي الحنفي.
- **الشيخ محمد القصار:** القاضي المالكي .
- **ميسيو فلوري:** الكاتب العام المساعد للحكومة التونسية .
- **الشيخ محمد النيفر:** المدرس .

[1] الطاهر الحداد: المصدر السابق ص58 .

[2] الساحلي حمادي: المرجع السابق ص 143 .

- **الشـــيخ محـــمد الطاهر بن عاشور**[1] **والشيخ محمد بن الخوجة**[2]: النائبان عن الدولة لدى النظارة.

- **السيد خير الله مصطفى** المترجم المحلف بالمجلس المختلط[3].

ولقد كان أغلب أعضاء هذه اللجنة تابعين للجنة الإصلاح السابقة التي تكونت سنة 1897م، واشتهرت بمعارضتها لمشروع ماشوال بالإجماع، باستثناء خير الله بن مصطفى الذي عينته الحكومة، و لا تضم اللجنة سوى عضوين، يمكن اعتبارهما من أنصار التجديد والاصلاح، وهما القاضي محمد القصار والنائب عن الدولة لدى النظارة العلمية محمد الطاهر بن عاشور[4].

[1] هو محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد الشاذلي عبد القادر بن محمد بن عاشور، ولد سنة 1236 هـ الموافق ل 1879 بقصر جدة للأم الوزير الأكبر محمد العزيز بوعتورة، بالمرسى وهي ضاحية من ضواحي الشمالية للعاصمة التونسية تقع على شاطئ البحر المتوسط – عند بلوغه اربعة عشر عاما التحق بجامع الزيتونة الأعظم سنة 1893م ودرس علوما شتى ،ودامت دراسته 7 سنوات انتهت بإحرازه على شهادة التطويع سنة 1899م. – دخل الشيخ الامام الى مهنة التدريس بعد حصوله على شهادة التطويع سنة 1899ثم ترقى في درجات التدريس الى ان اصبح مدرسا من الطبقة الأولى في جامع الزيتونة الأعظم سنة 1903م – في سنة 1905م عين كعضو بمجلس ادارة الجمعية الخلدونية ،عضو في المكتبة الصادقية من اجل وضع فهرس للمكتبة ،وسنة 1907 سمى نائب الدولة لدى النظارة العلمية وعضوا بلجنة اصلاح التعليم 1910م وفي نفس السنة عين على رأس لجنة المكتبة الصادقية – ألف الشيخ الطاهر بن عاشور في سنة 1907م كتاب اليس الصبح بقريب الذي تضمن افكار حول اصلاح التعليم الزيتوني، انظر وسام نويري، المرجع السابق، ص ص 116 – 117.

[2] عمر بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن قاسم، المعروف بابن الشيخ أو سيدي عمر، ولد سنة 1239 هـ بقرية يقال لها الماتلين من عملة بنزرت، تلقى العلم على كبار الأستاذة، مثل محمد بن مصطفى البارودي والشيخ محمد الحضار وكان مدرسا بجامع الزيتونه منذ سنة 1266 هـ، إذ درس 60 سنة، توفي سنة 1329 هـ، أنظر: محمد بن سعد القرني: **الامام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير** (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، اشراف د محمد ولد سيدي ولد حبيب، كلية الدعوة والأصول، جامعة أم القرة، السعودية) 1427 هـ ص13.

[3] محمد بن خوجة: المصدر السابق، ص 102

[4] مختار العياشي: **البيئة الزيتونية 1910 – 1945، مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلامية**، تع حمادي الساحلي، ط 1، دار التركي للنشر، تونس، 1990، ص 27.

عندما توسعت الحركة الاحتجاجية وعدت السلطة بتلبية رغبات الطلبة، وشرعت اللجنة بإصلاح التعليم في أشغالها في الحين غير أنه تحت تأثير حوادث الزلاج1911م ومقاطعة الترمواي 1912م، وقد كان للطلبة الزيتونيين دور كبير في هذه الأحداث ولقد أنهت اللجنة أشغالها خلال العطلة الصيفية سنة 1912م إلى وضع برنامج اصلاحي[1].

أ- المداولات ونتائج لجنة الإصلاح المشكلة من قبل حكومة الباي:

اجتمعت اللجنة في سنة 1912م وكلفت أحد أعضائها ،وهو الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور النائب الأول لدى النظارة العلمية، بتقديم تقرير حول أوجه الخلل وطرق إصلاحها فعرض ابن عاشور اقتراحاته على اللجنة التي رفضتها رفضا باتا واكتفت باتخاذ جملة من الإجراءات التي تضمنها الترتيب المؤرخ في 16 سبتمبر 1912م وهي تتمثل بالخصوص في تمديد مرحلة الدراسة بالجامع الأعظم إلى سنتين ،حيث أصبح الطلبة اعتبارا من ذلك التاريخ مطالبين بقضاء 7 سنوات دراسة كما هو الشأن في سائر المعاهد الثانوية الأخرى للحصول على شهادة التطويع[2] وتكليف النظارة العلمية بمراقبة الدروس والمناهج الدراسية[3].

[1] خير الدين شنره:ج1،المرجع السابق ص 740

[2] هي الشهادة التي يمنحها جامع الزيتونة لطلبة الذين يجتازون بنجاح الامتحان بعد حضور الدروس المقررة في التعليم، والكلمة مشتقة من الفعل طوع وتعني ان الطالب طوعت له العلوم المدرسية في الجامع واصبح قادرا على التحكم في مسائلها ،فهذه الشهادة منظور لها كالشهادة العالمية في الأزهر من جهة مايترتب عليها من نيل بعض المناصب ،أنظر: وحيدة عدوى ونور الهدى زرايجي : **الطاهر الحداد رائد الاصلاح في النصف الاول من القرن 20**، رسالة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف جمال بولعبايز قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري، السنة الجامعية 2018/2017، ص 58.

[3] الساحلي حمادي: المرجع السابق ص 143.

وبناء على اقتراحات الطلبة أصبحت البرامج ابتداء من ذلك التاريخ ضمن صلاحيات مجلس النظارة[1] وإنشاء خمسة فروع في كل من القيروان وسوسة وصفاقس وتوزر وقفصة[2]، إلا أن ازدهار تلك الفروع لم يتم بسبب عدم الاعتناء بها إداريا وماليا، كما اقتصر الترتيب الصادر في 1912م على تعديلات خفيفة دخلت على ترتيب أحمد باي فزاد على ثلاثين مدرسا من الطبقة الأولى مدرسا في القراءات وكذلك بالنسبة للطبقة الثانية فصار عددهم ثلاثة عشر، أما المتطوعون فلم يغير الأمر شيئا في وضعهم، كما ضبط ترتيب 1912أيام العطل بالنسبة للتعليم الزيتوني فعين للعطلة الصيفية شهرين من 15 جويلية الي 15 سبتمبر وشهر رمضان ويوم الجمعة وستة ايام بمناسبة العيدين وثلاثة ايام مدة عرفات ويوم 10محرم وثلاثة أيام بمناسبة رأس السنة الهجرية[3].

وبمجرد انتهاء اجتماعات تلك اللجنة أعفي محمد الطاهر بن العاشور من مهامه كنائب لدى النظارة وذلك بسبب أفكاره الإصلاحية التي اعتبرها بعض المشايخ المحافظين خارجة عن أفكار أهل السنة والجماعة، ونتيجة لقرارات هذه اللجنة تواصلت الحركات الاحتجاجية بالجامع الأعظم من سنة 1910م الى سنة 1912م[4] اضطرت السلطات إلى تلبية بعض المطالب فكلف المقيم التونسي" غبريال ألا بتيت"، الكاتب العام للحكومة التونسية بلان بالنظر في إعادة التعليم بالجامع بالتعاون مع وزير القلم الجديد "مصطفى دنقزلي" فأعد هذا الثنائي مشروعا بين سنتين 1913م و1914م، وهو مشروع مستمد في أغلب محاوره من مشروع " لوي ماشوال " غير أن ظروف الحرب العالمية الأولى لم تسمح بتطبيقه فتمت استعادته سنة 1924م، في عهد المقيم

[1] مختار العياشي الزيتونة: المرجع السابق ص 72 .

[2] الساحلي حمادي: المرجع السابق ص 143.

[3] محمد العزيز بن عاشور: المرجع السابق، ص 118

[4] مختار العياشي: الزيتونة، المرجع السابق، ص 74.

لوسيان سان[1]. لقد كان مشروع إصلاح سنة 1912 م لم تكن فيه المقترحات الخاصة بالتعليم العالي وهذا ما جعل إصلاح التعليم بالجامع الأعظم يشهد تأخرا[2].

ثانيا – إصلاح التعليم الزيتوني سنة 1924:

بعد الحرب العالمية الأولى انطلقت الحركات المعارضة خاصة بعد تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي، ورفع الإجراءات ضد الصحافة التونسية، ونتيجة لهذه التطورات قامت السلطة الفرنسية بالنظر في مطالب الطلبة الزيتونيين[3].

فقامت الحكومة في 21 جوان 1924م بإصدار أمر يقضي بإنشاء **لجنة لإصلاح** التعليم الزيتوني مكلفة بالنظر في مشروع "دنقزلي– بلان" الذي ضبط قبيل الحرب[4]، وتتألف اللجنة من:

– **مصطفى دنقزلي**[5]، الوزير الأكبر، رئيسا.

– المشايخ النظار: **أحمد بيرم وسالم بوحاجب ومحمد رضوان، والصادق النيفر.**

– خمسة مدرسين: وهم المشايخ **أحمد بن مراد وصالح المالقى ومحمد بن القاضي وبلحسن النجار وعلى السنوسي[6].**

أما عن الحكومة فقد ضم المجلس إضافة إلى الوزير الاكبر خليل بوحاجب وزير القلم والاستشارة وباش كاتبه وهنري بونصو مدير الداخلية العام، وعمر اليكوش ومحمد

[1] خير الدين شنرة: ج1 المرجع السابق، ص 758.

[2] عادل بن يوسف: **النخبة العصرية التونسية**، (طلبة الجامعات الفرنسية)، تونس، دار الميزان، 2006، ص 35.

[3] مختار العياشي: الزيتونة، المرجع السابق ص 76 .

[4] خير الدين شتره: ج2، ص758.

[5] ارتقى الى منصب الوزارة الكبرى سنة 1922 اثر استقالة الطيب الجلولي، انظر: إلى مختار العياشي، الزيتونة، المرجع السابق، ص 76.

[6] محمد بن الخوجة: تاريخ معالم التوحيد، المصدر السابق، ص105 .

الصالحي العضوين بالمجلس الكبير، والطاهر العجيمي رئيس خزنة المكاتب العامة وقد قدم للحاضرين مشروع للإصلاح التعليم الزيتوني[1].

1 - محاور المشروع :

ويتمحور حول أربعة محاور أساسية استعاد فيها أهم ما جاء في مشروع لويس ماشوال :

- مراحل التعليم:

تقسيم التعليم في جامع الزيتونة إلى ثلاثة مراحل متميزة، ابتدائي، ثانوي، عالي، وتختم الدراسة في كل مرحلة بشهادة تؤهل للارتقاء إلى مناصب معينة.

- مواد التدريس:

اقحام المواد التالية في برامج التعليم" الدراسات الدينية الشرعية – الدراسات الادبية واللغوية – الدراسات العصرية "[2].

بالإضافة إلى تدريس بعض المواد الأخرى التي لا يشمل عليها البرنامج نظريا، مثل التاريخ والجغرافيا والرياضيات وقد اقترحت اللجنة لهذا العرض فرعا منفصلا عن الجامع الأعظم لتدريس هذه العلوم .

[1] محمد ضيف الله: المرجع السابق ص 112 .

[2] هذه المواد موزعة في مراحل التعليم الثلاث اذا توجد بعض المواد في برنامج المرحلة الاولى والبعض الاخر في برامج المرحلتين الثانوية والعليا وهناك مواد مشتركة بين المراحل الثلاث، أنظر: مختار العياشي، الزيتونة، المرجع السابق، ص77.

- **المدرسون:**

إحداث صنف جديدة من مدرسي التعليم العالي ،كما نص على إقحام مبادئ التربية الحديثة في التعليم الزيتوني، والتي كانت منعدمة بالجامع الأعظم قبل ذلك التاريخ[1].

- **المناظرات:**

تطبيق مبدأ المناظرات لانتداب أعضاء هيئة التدريس، أما وضعية التعليم الزيتوني في سنة 1924 فقد كانت تشكو بعض النقائص التنظيمية التي ترجع أسبابها أساسا إلى ما يلي[2]:

*دراسة كتب غير ذات جدوى وغير متماشية مع العصر.

*عدم اشتمال برامج التعليم على بعض العلوم العصرية.

*عدم توزيع الموارد توزيعا واضحا على مختلف مراحل التعليم كما كانت برامج التعليم في المراحل الثلاث تتسم بالنقائص التالية[3]:

* **المرحلة الاولى:**

*عدم وجود فصل بين الدرجة الاولى والثانية، بحيث لا يتمكن التلميذ الذي يشرع في دراسة بعض المواد في احدى المدرجات، من اتمام دراستها الا في الدرجة الموالية.

*كثرة المواد المدروسة في تلك المرحلة

*تجاوز ساعات التدريس لطاقة التلميذ الذهنية

[1] خير الدين شتره: ج1، المرجع السابق ص 758.

[2] نفسه، ص 758.

[3] مختار العياشي: الزيتونة، المرجع السابق، ص ص، 31 – 32.

*لا تشتمل البرامج على بعض الدروس المفيدة .

*مدة الدراسة في تلك المرحلة غير كافية (3سنوات)

* **المرحلة الثانية** : تشكو نفس النقائص في المرحلة الأولى.

* **المرحلة العليا** : لا تخضع هذه المرحلة لأي ترتيب ولا يشترط فيها سوى شرطين فحسب[1]:

*يجب ان يكون المدرسون بها تابعين للطبقة الاولى.

*يجب ان يكون الطلبة متحصلين على شهادة التطويع.

ومدة الدراسة في هذه المرحلة غير محددة ولا تختم الدروس بأي امتحان وبالتالي بأية شهادة، و الطالب لا يتلقى تكوينا خاصا في مادة اختصاصه.

ولتدارك هذا النقص، حسب مشروع الاصلاح يجب اعتماد مايلي :

*تحديد العلوم ومواد التدريس بصورة مدققة.

*إدراج بعض المواد الجديدة والمفيدة في البرامج مثل مصادر القانون وتاريخ التشريع الإسلامي وفلسفة الشريعة والاجراءات القضائية الاسلامية والادب العربي وتاريخه والتراتيب الإدارية، محددة بثلاث سنوات، وأن يجرى في نهايتها على الطالب امتحان للحصول على شهادة ختم الدراسات العليا، أي " العالمية " التي تؤهل صاحبها للتدريس في الجامع الأعظم والقضاء الشرعي[2].

[1] مختار العياشي: البيئة الزيتونية، المرجع السابق ص 31 – 32.

[2] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق ص 79- 80.

إلا ان السلطات الاستعمارية اعتبرت ذلك المشروع ذا صبغة طموحة، بل حتى" ثورية"، وبوفاة الوزير الاكبر مصطفى دنقزلي في سنة 1926م أصبح مشروعه" الذي بات في زاوية النسيان " على حد تعبير الجنرال محمد بن خوجة[1]، اي بعد سنتين من بداية اشغال لجنة الاصلاح 1924. اي المحافظة على الوضع القائم الذي من شأنه ترضية السلطة الاستعمارية الحريصة أولا وبالذات على مواصلة وتعزيز سياسة تهميش الزيتونة والزيتونيين بالنسبة إلى المجتمع التونسي الذي أصبحت مظاهراته تشغل بال المسؤولين أكثر فأكثر[2]

2 – نتائج مشروع دنقزلي:

لقد كان **مشروع دنقزلي** – يقتضي بالضرورة تخصيص اعتمادات مالية هامة للزيادة في عدد الموظفين التابعين لجامع الزيتونية و توفير بنايات إضافية للتعليم نظرا لتزايد عدد الطلبة، و الترفيع في مرتبات رجال التعليم، فيمكن أن ينجر عنه عدة نتائج سواء في مستوى الميزانية أو على الصعيد السياسي، منها ارتفاع عدد الوافدين على الزيتونة، و ربما منافسة التعليم بالمعاهد الرسمية، كما يمكن أن يمثل تكوين كفاءات وطنية تكوينا عربيا اسلاميا عصريا خطرا على الوجود الاستعمار الفرنسي في تونس و هذا ما جعل السلطات تفكر ماليا قبل اتخاذ أي قرار بخصوص إصلاح التعليم الزيتوني[3].

أما فروع الجامع الأعظم الموجودة داخل البلاد " في سوسة وصفاقس والقيروان وقفصة " فقد كانت تابعة نظريا لجامع الزيتونة، وقد كانت تلك الفروع تشكو قلة الوسائل وضعف العلاقات مع الجامع الأعظم بالعاصمة وسوء التنظيم، وتتميز

[1] محمد بن خوجة: تاريخ معالم التوحيد، المصدر السابق، ص 105.

[2] خير الدين شتره: ج،2 المرجع السابق، ص759.

[3] مختار العياشي: البيئة الزيتونية، المرجع السابق ص 82.

بنتائجها الضعيفة، مما أدى بالكثير من الطلبة إلى الإعراض عن تلك الفروع والتوجه نحو الجامع الأعظم بالعاصمة[1].

وقد بلغ عدد الجلسات ثمانية عشر وقعت بين 9 جويلية 1924م و03 ديسمبر 1925م ناقشوا خلالها كل تفاصيل المشروع الجديد، غير أن النتائج النهائية لم تنفذ بسبب وفاة الوزير الأكبر مصطفى دنزقلي صاحب المشروع، وكذلك بسبب قوة تأثير المحافظين داخل جامع الزيتونة، بالإضافة إلى عدم تحرك الطلبة ونضالهم من أجل الاصلاح خلال فترة انعقاد هذا المجلس[2].

وبذلك لم يقع تحقيق الهدف الذي شكل من اجله هذا المجلس وهو الاحتياط من انفجار الاوضاع داخل الساحة الزيتونية تردي أوضاعهم المعيشية وانحسار أفاقهم المهنية، وقد انطلقت الحركة الاحتجاجية الطالبية بعد تمام ثلاث سنوات من آخر جلسات المجلس الإصلاحي، ولم تستطع الاجراءات المختلفة التي اتخذتها السلطة ان تهدئ من تلك الحركة التي تواصلت طيلة الثلاثينيات[3].

المبحث الثاني – إصلاح التعليم الزيتوني في خلال الفترة الممتدة ما بين (1930 – 1938م) :

أولا – إصلاح التعليم الزيتوني في سنة 1930:

كانت المحاولة التي قام بها الاستعمار الفرنسي لتغيير النظام الأساسي لعدول الاشهاد وبمقتضى الأمر العلي المؤرخ في 8 ماي 1928، الذي يفرض على المترشحين اختبار اللغة الفرنسية لاجتياز خطة المناظرة إلا أن هذا الأمر تزامن مع

[1] مختار العياشي: البيئة الزيتونية، المرجع السابق ص ص 82-83.

[2] محمد ضيف الله: المرجع السابق ص 112.

[3] خير الدين شتره: ج2، المرجع السابق، ص ص 825- 826.

آخر السنة الدراسية وهي فترة الاستعداد للامتحانات، فقرروا تأجيل حركتهم الاحتجاجية إلى شهر أكتوبر حيث شنوا في أوائل شهر ديسمبر 1928 إضرابا عن الدروس دام أكثر من شهر، ونظموا في اليوم الخامس عشر من ذلك الشهر مظاهرة كبيرة في ساحة باب سعدون، شارك فيها أكثر من 1000 طالب، وتقدم وفد من الطلبة إلى المجلس الكبير لإبلاغ مطالبهم إلى النواب التونسيين، كما عقد أولياء الطلبة وسكان المدينة العربية عدة اجتماعات في المساجد القريبة من جامع الزيتونة لتدارك الوضع[1].

وقد قامت إدارة الجامع الأعظم بإنذار الطلبة بتضييع حقوقهم المكتسبة إذا لم يستأنفوا دروسهم " أي إلغاء تأجيل الخدمة العسكرية وحذف دورة الامتحان...الخ " ، وقد انطلقت حملة تضامن شعبية واسعة النطاق، تمثلت بالخصوص في إضراب التجار في كثير من المدن وتوجيه عرائض الاحتجاج إلى الوزير الأكبر خليل بوحاجب الذي تلقى عريضة صادرة من الحرفيين[2] بالعاصمة " تحمل 350 إمضاء بالإضافة إلى إمضاءات 346 نفرا من قدماء الزيتونيين"، وعريضة سكان قصيبة المديوني 200 إمضاء وعرائض سكان سوق الأربعاء 150 إمضاء، والعالية وقليبية والقيروان والسرس والمعمورة وحلق الوادي وقصر الهلال وقلعة الأندلس، فضلا عن العرائض الأخرى الصادرة عن 42 مدينة وقرية، وبرقيات الاحتجاج الموجهة إلى الإقامة العامة[3].

وشهدت عملية الرصيف بميناء تونس إضرابا يوم 19 جانفي 1929 للتعبير عن تضامنهم مع الطلبة الزيتونيين الذين كان ممثلوهم يجوبون البلاد لمزيد تحسيس السكان

[1] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين المرجع السابق ص 28.

[2] مختار العياشي: البيئة الزيتونية ، المرجع السابق ص 215.

[3] محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص288

بالوضع السائد بالجامع الأعظم ولفت انتباههم إلى مصير الطلبة المرفوتين والمسجونين[1].

لقد انطلقت الحركة الطلابية في أول الأمر احتجاجا على الإجراءات المتخذة لتغيير طريقة انتداب عدول الإشهاد، بطريقة أخرى متصلبة عندما طالبت بإصلاح برامج جامع الزيتونة وهياكلها إصلاحا كاملا، وفي هذا الصدد أشار المقيم العام في التقرير الموجه إلى وزارة الشؤون الخارجية بباريس إلى أن هذه الحركة قد أصبحت تشكل مصدر قلق للحكومة ، لأن الطلبة قد نجحوا في استمالة اهتمام أغلبية الرأي العام الإسلامي التي لم تهدأ إلا بفصل الوعود المقدمة بشان إعادة النظر في القانون الأساسي لعدول الإشهاد والإصلاح التعليم الزيتوني، الأمر الذي سمح باستئناف الدروس بالجامع الأعظم، وهكذا قد شجع الدعم الشعبي غير المشروط الحركة المطلبية الزيتونية التي تميزت بالاستمرارية واتخذت مركزا عاما لقيادتها المدارس الثلاث التالية: المدرسة الباشية ومدرسة النخلة ومدرسة جامع الهواء[2].

ولقد كان للجنة الطلبة التي أشرف عليها محمد الصالح المهيدي حتى سنة 1935م دور في مواصلة الاضرابات وتوجيه العرائض، بوصفها الناطقة بلسان الزيتونيين، للتشهير بمماطلة لجنة الإصلاح الرسمية، ونشر البلاغات الخالية من الإمضاء على صفحات الجرائد للتنديد بالأوساط الرجعية التي تعمل ضد مصلحة الطلبة. لقد طرحت لجنة الطلبة على نفسها الاتصال بالأوساط الحكومية وتمثيل الطرف الطالبي في عملية الإصلاح الزيتوني، وقد بدأت بتحرير عريضة تتضمن الدعوة إلى الإسراع

[1] مختار العياشي: البيئة الزيتونية، المرجع السابق ص 288.

[2] نفسه، ص 219.

بتشكيل لجنة الإصلاح وأرسلت تلك العريضة إلى مختلف الدوائر المسؤولة وامضى على تلك العريضة 371 طالبا[1].

لقد أدت الاضطرابات التي قام بها الطلبة الزيتونيون في ديسمبر 1928 واضرابهم في مطلع سنة 1929الى إجبار السلط الاستعمارية في تونس من جديد بقضية إصلاح التعليم الزيتوني إلا أن الظاهرة الجديدة قد تمثلت هذه المرة في كون الاقتراحات المتعلقة بإصلاح التعليم قد أصبحت منبثقة عن المطالب المقدمة من قبل الطلبة، فكونت لهذا الغرض **لجنة إصلاح 1930** والتي وعدت السلط بتكوينها ودعوتها إلى الاجتماع في سنة 1929 وقد ضمت هذه اللجنة[2]:

خليل بوحاجب: الوزير الأكبر رئيسا

ثلاثة مدرسين زيتونيين وهم: المشايخ **محمد بن القاضي والطيب سيالة وعثمان الخوجة.**

الموظفين السامين منهم **غودياني** نائب مدير الداخلية **والشاذلي العقبي** شيخ المدينة **وعلي السقاط** مدير الأوقاف **ومصطفى صفر** نائب رئيس القسم الأول بالوزارة الكبرى **ومحمد بن الخوجة** عامل بنزرت.

المشايخ التابعين للمجلس الشرعي وهم: **احمد بيرم** شيخ الإسلام الحنيفي والطاهر بن عاشور باش مفتي المالكية، محمد العزيز جعيط المفتي المالكي وبلحسن النجار المفتي المالكي ومحمد رضوان القاضي الحنفي وصالح المالكي القاضي المالكي[3].

[1] محمد ضيف الله: المرجع السابق ص122

[2] مختار العياشي: البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص84.

[3] محمد بن الخوجة: المصدر السابق ص106

هذه اللجنة لم تضم سوى ثلاثة مدرسين زيتونيين من مجموع أعضائها الثمانية عشر، بالإضافة إلى الشيوخ التابعين للمجلس الشرعي، وهو ما يعكس رغبة تلك السلط في التحالف مع العناصر المحافظة من بين شيوخ الجامع الأعظم ورجال مجلس الشرع المعارضين لإصلاح التعليم الزيتوني وذلك لإحباط كل محاولة لتحديث تلك المؤسسة والاستجابة لمطالب طلبتها[1].

1 - مشروع الطلبة الزيتونيين الإصلاحي:

تميز المشروع الإصلاحي الذي تقدمت به لجنة طلابية برئاسة أبي القاسم الشابي بأنه يجمع بين مشروعي ماشويل ودنقزلي- بلان مع إضافة بعض التحسينات المقتبسة من نظام مؤسسات التعليم الرسمي الأخرى ومن الإصلاحات التي أدخلت منذ عهد قريب على نظام التعليم بجامع الأزهر في مصر.[2]ويتمحور مشروع الطلبة حول أربعة هي التالية :

أ - إطار التعليم الزيتوني:

لقد أشار أصحاب لائحة المطالب الزيتونية بكل ماله صلة بقضية إعادة تنظيم إدارة الجامعة الزيتونية ذاتها، وكذلك طريقة انتداب أعضاء هيئة التدريس والإشراف على الدروس مع إخضاعها لمراقبة فعلية وبالنسبة إلى النظارة فقد عبر أصحاب المشروع عن رغبتهم في تحويلها إلى مجلس إصلاح يدعي إلى النظر في المسائل ذات الصبغة العامة المتعلقة بنظام الدروس وشؤون الطلبة[3]، وأما أعداد المدرسين الذي كان يبلغ

[1] محمد بن الخوجة: المصدر السابق ص 85.

[2] تتمثل تلك الاصلاحات بالخصوص في تقسيم التعليم الى عدة درجات وادراج العلوم العصرية في برامج التعليم والتخصص في التعليم العالي وتنظيم التعليم في الفروع الزيتونية انظر: مختار العياشى: البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص 88.

[3] نفسه: ص 40.

عددهم في مطلع الثلاثينيات من هذا القرن 110مدرساً " 37 من الطبقة الأولى و23 من الطبقة الثانية و50 معاونا" فقد كان هو أيضا غير مرض بالنظر إلى انعدام أي تخصص في مختلف فروع التعليم[1].

ب – هياكل التعليم الزيتوني والمواد المقترحة ادخالها في برنامج التعليم حسب تصور الطلبة:

*** هياكل التعليم الزيتوني حسب تصور الطلبة:**

تقسيم التعليم إلى ثلاث مراحل[2]:

المرحلة الابتدائية: ومدتها أربع سنوات، وينبغي أن تنظم الدروس في فروع الجامع بالعاصمة وفي داخل البلاد وتختم الدراسة بشهادة معادلة لشهادة الابتدائية من حيث الامتيازات.

المرحلة المتوسطة: وتدوم الدراسة بها أربع سنوات تؤهل صاحبها للحصول على شهادة التطويع.

المرحلة العالية: مدتها أربع سنوات وتلقى الدروس بالجامع الأعظم وتؤهل الحصول على شهادة خاصة وفقا للنظام المعمول به جامعة الأزهر بالقاهرة.

*** المواد المقترح إدخالها في برامج التعليم :**

إن المواد المقترحة حسب ما أقره الطلبة يقوم على مواد تبعا للمراحل الدراسية الثلاثة المعمول بها في الجامع الأعظم وهي كالآتي[3]:

[1] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق، ص91.

[2] نفسه، ص92

[3] مختار العياشي: البيئة الزيتونة ، المرجع السابق، ص42.

المرحلة الابتدائية: يستعرض مشروع الطلبة المواد التالية :القراءة المفسرة والرسم والخط والفقه وأصول الفقه والتجويد والسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين، النحو والصرف والأدب والجغرافيا والحساب والفيزياء والكيمياء والإنشاء والأخلاق أما العلوم الطبيعية والرياضيات فينبغي تدريسها حسب البرنامج المعمول به في المدارس الابتدائية الفرنسية أو الفرنسية العربية.

المرحلة المتوسطة: تشمل برامج التعليم في هذه المرحلة المواد التالية: الشريعة الإسلامية وأصولها وتفسير القرآن وعلوم الحديث والتاريخ الإسلامي والنحو والأدب العربي والبلاغة والإنشاء والعروض وعلوم اللغة والهندسة والجغرافيا والعلوم الطبيعية والحساب وتاريخ الأديان وعلم الفلك.

المرحلة العالية[1]: يقترح المشروع تفريع هذه الدرجة إلى ثلاث شعب مختصة شعبة الوعظ والإرشاد لإعداد الأئمة والخطباء وشعبة التوثيق لإعداد المترشحين لخطة الإشهاد وشعبة التدريس لإعداد المدرسين.

ج – الامتحانات والشهادات وسائل الايضاح و طرق التدريس:

*** الامتحانات والشهادات المقترحة وفقا لمشروع 1930م :**

يقترح المشروع إحداث شهادات وتنظيم امتحانات بالنسبة إلى مراحل التعليم الثلاثة، أما الاختبارات تشمل امتحانات على أن تكون اختبارات كتابية وشفاهية[2].

[1] مختار العياشي: البيئة الزيتونة ، المرجع السابق، ص 42.

[2] خير الدين ستره:ج2، المرجع السابق، ص828.

*** وسائل الايضاح والطرق التعليمية حسب مشروع 1930م:**

ضرورة تعويض طريقة إلقاء المحاضرات بطريقة الشرح والأسئلة التي يجب أن تتعلق بالمضمون لا بمعاني الكلمات الوزارة في النصوص[1]. تلك هي الخطوط العامة لذلك المشروع الإصلاحي الذي يبدو تحقيقه أمرا متأكدا في نظر الزيتونيين قبيل مطلع الثلاثينيات[2].

2 – مداولات ونقاشات لجنة إصلاح سنة 1930م وانعكاساتها:

انطلقت أعمال لجنة الإصلاح في جو مضطرب رغم حرص السلط الاستعمارية على إخماد النزعة التجديدية والإصلاحية التي مثلتها أقلية داخل اللجنة أدت إلى تفاقم الجدل في صائفة 1931، وقد تجاوزها إلى الرأي العام وأعمدة الصحف اليومية، وخاصة جريدتي النهضة والزهرة ،إذ دافعت الأولى عن الشق الإصلاحي المتحرر والمؤيد لمطالب الطلبة ممثلا في الشيخ محمد الطاهر بن عاشور باش مفتي المالكية[3] إذ يقول : « أن قوام حياتنا القومية وبقاء مميزتنا مقيدان بشرط إصلاح التعليم الزيتوني[4]»، في حين ساندت جريدة الزهرة خصوم ذلك الإصلاح وعلى رأسهم احمد بيرم شيخ الإسلام الحنفي " الممثل للشق المحافظ التقليدي المساند من الوزير الأكبر خليل بو حاجب[5] وهو وجماعته يرون: « أن صيانة الهوية الإسلامية والعربية للبلاد مقيدة بشرط إبقاء التعليم الزيتوني على حاله[6]. »

[1] خير الدين ستره:ج2، المرجع السابق، ص828.

[2] الساحلي حمادي: المرجع السابق ص144

[3] نفسه، ص 144.

[4] محمد ابن عبد العزيز، المرجع السابق، ص 115.

[5] مختار العياشى: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق، ص 47.

[6] محمد العزيز ابن عاشور، المرجع السابق، ص 116.

وقد رأت حكومة الحماية في أول الأمر أن من مصلحتها تأييد الشيوخ المعارضين لتجديد التعليم الزيتوني وإعادة تنظيمه على أسس حديثة، وبصدد هذا وجه المقيم العام الفرنسي منصرون تقرير إلى وزارة الشؤون الخارجية بباريس حول هذا الموضوع، جاء فيه بالخصوص ما يلي: " رغم منح بعض الترضيات للرأي العام الإسلامي، فإننا لا نسمح طبعا بتحقيق إصلاح يمكن أن يشكل خطرا بالنسبة إلى السياسة التي تنتهجها فرنسا بتونس، ذلك إن إجراء أي إصلاح يعني التفويض وخلق الفرص....فلا يقتضي الأمر أبدا أن يجعل من جامع الزيتونة معهدا تعليميا مجهزا ومنظما حسب الطرق الحديثة "[1].

3 - نتائج أشغال لجنة إصلاح سنة 1930م:

إن النتائج التي تمخضت عنها لجنة إصلاح سنة 1930م بموجب الأمر العلي المؤرخ سنة 1933 كانت كالتالي:

- إدراج المواد التالية في برامج التعليم بجامع الزيتونة: الشريعة واللغة والآداب العربية أما العلوم العصرية كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية وحفظ الصحة والتاريخ والجغرافيا، فستدرس خارج الجامع من طرف بعض المكلفين بالدروس في محل سيعين ويهيأ فيما بعد[2].

- إحداث ثلاث مراحل تعليمية متميزة تختم الدراسة في كل مرحلة بشهادة خاصة وهي:

***الأهلية**، التي تختم بها الدراسة الثانوية (المرحلة الأولى).

[1] مختار العياشي: البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص53

[2] وهذا يعني رفض تلك المواد في برامج التعليم في جامع الزيتونة، أنظر: مختار العياشي: الزيتونية و الزيتونيين، المرجع السابق، ص 106.

*التحصيل الذي يختم المرحلة الثانوية (المرحلة الثانية).

*العالمية التي تختم بها الدراسات العليا وتدوم الدراسة في هذه المرحلة ثلاث سنوات في شعبتين اثنين الآداب والشريعة[1].

أما بالنسبة للامتيازات التي تتمتع بها تلك الشهادات الثلاث فقد تقرر ما يلي :

*الأهلية: لا تخول لحامليها إلا التأجيل من الخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات في انتظار حصول التلميذ على شهادة التحصيل في حين تعتبر هذه الشهادة أعلى من الشهادة الابتدائية التي تمنحها الدارس العامة وتخول لأصحابها الإعفاء من الخدمة العسكرية.

*العالمية: التي تخول لحامليها المشاركة في مناضرة انتداب مدرسي الطبقة الثانية وفي الجملة فان برامج التعليم قد بقيت على حالها بدون أي تغيير محسوس، الأمر الذي أثار اضطرابا في صفوف الطلبة، حالما اطلعوا على النتائج التي أسفرت عنها أشغال تلك اللجنة[2].

*التحصيل: الذي أحدث عوضا عن شهادة التطويع[3] التي كانت تسمح لحامليها في سنة 1928 بممارسة العدالة ولا تخول الشهادة الجديدة إلا الإعفاء من الخدمة العسكرية وتسمح نظريا بحامليها في المشاركة في مختلف المناظرات[4].

[1] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق ص 53.

[2] نفسه، ص 53.

[3] تتمثل الامتيازات الأخرى التي كانت تتمتع بها شهادة التطويع في المشاركة في مناظرات انتداب مدرسي الطبقة الثالثة، والارتقاء إلى الخطط التابعة للقضاء الشرعي والالتحاق بالإدارات التونسية، انظر: ينظر الساحلي حمادي: المرجع السابق ص145.

[4] نفسه، ص 145.

ولقد بلغت أصداء الإضراب بالجامع الأعظم ومختلف فروعه استياء الرأي العام درجة من الأهمية، جعلت الإقامة العامة تصدر البلاغ التالي : « إن ممثل فرنسا المتهم بما أثارته مسألة التعليم بجامع الزيتونة من ردود فعل متضاربة لدى الرأي العام، لا يرى أي مانع في إعادة النظر في هذه المسالة على نطاق واسع حتى يتمكن ممثلو المجموعة الإسلامية بتونس من المقابلة بين آرائهم حول الإصلاحات الهيكلية التي يبدو لهم من الضروري إدخالها على نظام هذه المؤسسة الموقرة[1]. »

أن نجعل من جامع الزيتونة معهدا تعليميا مجهزا ومنظما حسب الطرق الحديثة. أما المواد الجديدة التي أدرجت في البرامج فهي لا تمثل حسب صاحب ذلك التقرير سوى الحد الأدنى الضروري، ومن الممكن السهر على أن لا يتجاوز تطبيقها الحد المعين، حتى لا ينقلب ذلك الإصلاح ضدنا، ولا يسيء إلى العمل الذي نقوم به في هذه الربوع في ميدان التعليم. ويختم المقيم العام تقريره بقوله : « أن يقظتنا في هذا الاتجاه لم ولن تهزم[2].»

وقد أثار الإعلان عن النتائج الضعيفة التي أسفرت عنها أعمال لجنة الإصلاح لسنة 1930م استياء كبيرا في صفوف الطلبة الزيتونيين وفي أوساط الرأي العام، لتواصل الحركة الطلابية نضالها، جاعلة من مسألة إصلاح التعليم الهدف الرئيسي لمطالبها، ومتحدية جميع أشكال القمع، بواسطة الاضرابات والعرائض والمعلقات الحائطية والاجتماعات العامة بل حتى المؤتمرات، فأجبرت السلط في آخر الأمر، بعد نضال طلابي ساندته قوى الحركة الوطنية اسفر على نفس الوتيرة طيلة 5 سنوات إلى تكوين لجنة إصلاح أخرى في سنة 1938، والسؤال المطروح هل ستكون اللجنة على شاكلة اللجان السابقة؟[3].

[1] الساحلي حمادي: المرجع السابق ، ص145.

[2] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق، ص54.

[3] مختار العياشي: البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص 56.

ثانيا - إصلاح التعليم الزيتوني سنة 1938:

اعتبر الزيتونيون الأمر العلي المؤرخ في 7 فيفري 1936 والقاضي بفرض معرفة اللغة الفرنسية لترسيم الموظفين التونسيين، وهي بمثابة العائق الجديد في سبيل ارتقائهم في سلك الوظيفة العمومية، بل أيضا وعلى وجه الخصوص بمثابة الاعتداء على وضعهم الثقافي العربي الذي يرفض منح اللغة الفرنسية أي امتياز وأي فرصة للتسرب إلى برامجهم الدراسية، باعتبارها لغة المستعمر[1].

وسعيا إلى إلغاء ذلك الأمر عقد الطلبة عدة اجتماعات في المساجد وعلقوا المناشير في عدة أماكن لدعوة الشعب إلى التمرد والثورة ، ومنذ يوم 16 فيفري وجه الطلبة عن طريق لجنتهم إلى شيخ الجامع الأعظم رسالة عبروا له فيها عن قلقهم واستنكارهم لذلك الإجراء الذي يرغبون في إلغائه. فأجابهم الشيخ المدير بتعليق إعلان يحذرهم فيه من أية محاولة يقومون بها لإدخال الارتباك على سير التعليم[2].

ولقد اعتبر الرأي العام التونسي حينئذ أن ذلك الأمر الذي يمس بوضع اللغة العربية يمس في نفس الوقت بالدين الإسلامي. إذ كان الشعار الذي ردده المتظاهرون حول المساجد يتمثل فيما يلي: "القرآن لا يمكن أن يقرأ إلا باللغة العربية". ومنذ اليوم العشرين من نفس الشهر أغلقت كثير من الدكاكين أبوابها وبدأ الغضب يعم داخل البلاد. وكانت منطقتا الساحل وصفاقس من أولى المناطق التي بلغتها أصداء تلك المعركة فأصبح الوضع ينذر بالخطر أكثر فأكثر وتوالت على الإقامة العامة تقارير المراقبين المدنيين المنشغلي البال بهذا الموضوع[3].

وقد استنكر الطلبة المحتجون بعدم اكتراث حكومة الحماية لأمرهم وعدم تلبيتها لمطالبهم الأساسية التالية :

---

[1] خير الدين شتره: ج2، المرجع السابق، ص 826.

[2] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق، ص 32

[3] نفسه، ص ص، 232-231.

*الامتيازات الواجب منحها للشهادات الزيتونية.

*فتح آفاق التشغيل في وجه الزيتونيين.

*إعادة الشرعية بإلغاء التسميات التعسفية الواقعة بدون مناظرة في جامع الزيتونة، بالرغم من التراتيب الجاري بها العمل في هذا الشأن، ولكن الطلبة لم يتلقوا أي رد إيجابي، فقدموا من جديد بعد ذلك بشهرين (أي يوم 05 فيفري 1937) مطالبهم إلى المقيم العام والوزير الأكبر مرفوقة برسالة أمضاها عمر الهمامي سكرتير رابطة الطلبة الزيتونيين. ولكن عوض البحث عن حل عادل للقضية الزيتونية اقترح "هنري دي منتيتي" على الحكومة " اتخاذ إجراءات صارمة ضد مثيري الشغب، والضرب على أيدي المحرضين الرئيسيين"[1].

وعند اعتلاء المقيم العام الجديد " أرمان قيون" السلطة، اقترح عليه "شارل سوماني" تعديل الأمر العلي المؤرخ في 07 فيفري، بعدما لاحظ أن إضراب الجامع الأعظم "يهدد بجعل النفوس في حالة استنفار منذر بالخطر" وقد علل اقتراحه "بضرورة حذف الشبان الفرنسيين والتونسيين على حد السواء للغة غير لغتهم"[2]، وعندما لاحظ الطلبة، أن السلط قد أخلت بأهم وعودها ولم تأخذ آمالهم بعين الاعتبار، التجأ ومن جديد يوم 03 مارس 1937 إلى سلاح الإضراب اللانهائي في الجامع الأعظم وفرعه بصفاقس وقد كانت بلاغات لجنة الطلبة الزيتونيين الحادة اللهجة، تقيم الدليل على عزمهم الراسخ على تحقيق جميع مطالبهم، لاسيما تنظير شهادة "الأهلية" بالشهادة الابتدائية، للحصول على الإعفاء من الخدمة العسكرية، ومنذ الأسبوع الأول من شهر مارس، امتدت حركة الإضراب إلى كافة الفروع الزيتونية وقد كان الطلبة يحظون برعاية بعض قدماء الزيتونيين ومدرسي الطبقة الثالثة على وجه الخصوص، والمطالبين بتمكين جامعتهم من مستقبل أفضل، كما كانوا يحظون بعطف الرأي العام المهتم بهذه الحرب

[1] مختار العياشي: البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص 235 – 236.

[2] مختار العياشي: الزيتونية و الزيتونيين، المرجع السابق، ص 234.

المقنعة التي مافتئت السلط الفرنسية تجبر الشبان الزيتونيين على خوض غمارها منذ أكثر من ثلاثين سنة[1].

كما قاموا بمجموعة من التظاهرات الشعبية المنظمة لمساندة الطلبة الزيتونيين المضربين، ومنها على سبيل المثال الاجتماعات المتكررة التي كان يعقدها سكان حمال (من أولياء الطلبة وقدماء الزيتونيين) في مسجد القرية لدرس تطور الوضع بالجامع الأعظم، أو المظاهرة التي نظمها سكان المنستير (بمشاركة سكان القرى المجاورة الأخرى)، وقد هجم المتظاهرون على المحكمة الشرعية وطلبوا إلى قاضي المكان "إبلاغ السلط غضبهم الشديد وما أثارته قضية الجامعة الزيتونية في نفوسهم من غم"، ولم تقبل السلط الاستعمارية في آخر الأمر إعادة النظر في القضية الزيتونية، إلا عندما شعرت بأن هذه الحملة المتواصلة من العرائض وبرقيات الاحتجاج الواردة من مختلف المناطق منذ عدة شهور، والمعززة بحملة صحفية مستغلة إلى أبعد حد من قبل الحزب الدستوري الجديد، قد تؤول إلى حدوث إضرابات عامة[2]. مما جعل الإقامة العامة إلى إصدار بلاغ خلال شهر سبتمبر 1938 أعربت فيه عن قبولها لمطالب الطلبة، وتأليف لجنة مكلفة بالنظر في نظام جامع الزيتونة ومراجعته، مما دعا إلى تشكيل **لجنة للإصلاح** فيفري 1938[3].

أ - لجنة إصلاحات سنة 1938م :

تشكلت اللجنة من العديد من الأعضاء، وقد ترأسها، وزير القلم والاستشارة : **أحمد ابن الرايس** وضمت كلا من: [4]

[1] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، لمرجع السابق، ص 237.

[2] نفسه، ص 39.

[3] علي الزيدي: حركة إصلاح تعليم لجامع الزيتونة منذ نشأتها حتى لجنة صوت الطالب الزيتونة، **المجلة التاريخية المغاربية**، ع 35- 36، ديسمبر، 1984، ص27.

[4] محمد بن الخوجه: تاريخ معالم التوحيد، المصدر السابق، ص 109.

صالح المالقي مدير الجامع الأعظم وفروعه، له **ومحمد الطيب بيرم** المفتي الحنفي والمفتين المالكين: **محمد العزيز جعيط وبلحسن التجار** ومدير الإدارة العامة والبلدية صوماني (Saumagne) ومستشار الحكومة **محمد بن الخوجة** وشيخ المدينة **مصطفى صفر** ومدير الأوقاف **محمد سعد الله** ورئيس القسم **محمد قاسم** وعضوي المجلس الكبير الصادق الثلاثلي **والبشير البكري** والمحامي **مصطفى كعاك**.

كما ضمت من بين الأساتذة الزيتونيين: **الصادق المحرزي ومحمد الصالح بن مراد ومحمد الزغواني والمختار بن محمود والفاضل بن عاشور والشاذلي بن القاضي ومعاوية التميمي** إضافة إلى مدرسين بالابتدائي هما **أحمد شلبي والتهامي زهار**، ومتطوعين هما **علي التركي والصادق أبو السرور**[1].

إلا أن الحركة الطلابية كانت مقرة العزم هذه المرة أيضا مثلما كان الشأن بالنسبة إلى الإصلاح السابق على اكتساح الساحة التي تتخذ فيها القرارات المحددة لمصير المؤسسة الزيتونية، فبعدما عقدت الحركة يوم 5 أكتوبر 1937 مؤتمرها الأول[2] الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ جامع الزيتونة، أصبحت مصممة على الدفاع عن حقوقها بالإعلان عن وجودها كطرف في نزاع ليس في حاجة أبدا إلى أية وصاية[3]، وعلى غرار البرنامج المقدم إلى لجنة إصلاحات 1938م أبلغ الطلبة في آخر شهر جانفي 1938 برنامجهم الإصلاحي المنبثق عن مؤتمرهم، إلى الإقامة العامة والوزير الأكبر وشيخ الجامع الأعظم. وقد تضمن التقرير العام الذي وضعه الطلبة المنبثق عن تقارير اللجان الثلاثة المنبثقة عن المؤتمر، وهي لجنة إصلاح التعليم ولجنة مطالب الطلبة

[1] محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص 159.

[2] انعقد هذا المؤتمر بمقر الحزب الدستوري بنهج التريبوكال وصادق على مختلف اللوائح بالمطالب الزيتونية ومشروع الاصلاح الذي تناوله المؤتمرون خلال جلسات أيام 5 و6 و7 أكتوبر 1938، وانتهت الجلسة المنعقدة في 8 أكتوبر 1938، بانتخاب مكتب دائم للطلبة الزيتونيين، انظر: مختار العياشي: البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص 58.

[3] خير الدين شتره: ج1، المرجع السابق، ص 744.

ولجنة آفاق تشغيل الطلبة، ولا شك أنه من الفائدة تلخيص تقارير تلك اللجان الثلاث، حتى ندرك مشاغل الطلبة[1].

*** لجنة إصلاح التعليم:**

أن إدارة الجامع الأعظم في شكلها الجديد مازالت تعتبر عائقا في وجه أي محاولة لتحديث المؤسسة وفق النظام الإداري الجامعي الرسمي، وذلك بانتخاب مجلس إدارة يضم ممثلي الطلبة، وتمكين هؤلاء من المثول لدى لجنة التأديب واختيار أحد أساتذتهم للدفاع عنهم، وقد تم تفصيل النظام الإداري الجديد الذي يطالب به الطلبة في20 نقطة[2].

لقد فصل تقرير اللجنة مسألة برامج التعليم في 38 نقطة، مقسما المواد الواجب تدريسها في كل مرحلة إلى مواد دينية ومواد اجتماعية ومواد لغوية وأدبية ومواد متعلقة بالعلوم الصحيحة والعلوم الإنسانية، مع تفصيل مدقق لمختلف برامج التعليم، أما بالنسبة إلى التعليم العالي فإن التقرير ينص على إحداث أربع شعب: القرارات والعلوم الشرعية والآداب والفلسفة وفيما يتعلق بالشهادات، فإن الاقتراح الجديد يتمثل في إحداث شهادة "التبريز" بعد الحصول على العالمية بالنسبة إلى الطلبة المتوجهين إلى التدريس. وتمنح تلك الشهادة للطلبة الذين يقدمون أطروحات في مادة اختصاصهم إلى لجنة معينة من قبل الشيخ المدير ويصبح المترشحون الناجحون مدرسين من الطبقة الأولى، وينبغي أن يكون التدريس في المرحلة الثانية والمرحلة العليا من اختصاص مدرسي الطبقة الأولى والرتبة العليا، فقد طالب الطلبة بإحداث نظام المراقبة المستمرة،

[1] محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص 297.

[2] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق، ص 112.

وذلك بتنظيم امتحانات كل ثلاثة أشهر، تتركب في أغلبها من اختبارات كتابية. ويمكن أن يشارك فيها المترشحون الأحرار[1].

المطالبة بتخصيص الجامع الأعظم بالعاصمة للتعليم العالي لا غير. في حين يتعين تخصيص الفروع الواجب تنظيمها حسب مثال المعاهد الثانوية العمومية من الناحية التربوية والإدارية، للمرحلتين الأولى والثانية.

*** لجنة مطالب الطلبة:**

من بين المطالب التي يبلغ عددها 12 مطلبا نشير بالخصوص إلى المطالب التالية[2] :

*إعفاء الطلبة المتحصلين على الأهلية من الخدمة العسكرية، إعفاءا تاما وبدون تحفظ.

*إيواء جميع الطلبة في محلات لائقة.

*ترسيم وتجهيز المدارس سكنى الطلبة وتطبيق وتعميم الخدمات، الصحية وقواعد حفظ الصحة.

*إرجاع المدارس المنتزعة من الطلبة الزيتونيين إلى أصحابها.

*إحداث مطاعم طلابية.

*إقرار يومي راحة في الأسبوع (ومن الأفضل أن يكون يوم الاثنين علاوة على يوم الجمعة).

*** لجنة آفاق تشغيل الطلبة:**

ويعتبر مشكل التشغيل المطلب الأساسي للطلبة من مطلع هذا القرن ، فقد كان الغرض منه الحرص على وقايتهم من التهميش الاجتماعي والاقتصادي، ومن ناحية أخرى فقد كان الطلبة ينادون بتحسين آفاق التشغيل التقليدية والتوسيع من نطاق

[1] مختار العياشي: الزيتونية و الزيتونيين، المرجع السابق، ص 113.

[2] مختار العياشي: البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص 60.

الانتدابات بالنظر إلى تزايد عدد الطلبة الزيتونيين. وقد اخترنا من المطالب الثلاثة والعشرين[1] التي يتضمنها تقرير هذه اللجنة و هي:

*الانتداب عن طريق المناظرة لسد جميع المناصب الشاغرة بجامع الزيتونة.

*تحسين المرتبات والرفع من مستوى الانتداب.

*منح حاملي التطويع والتحصيل الرخص اللازمة لفتح المدارس القرآنية العصرية.

*الزيادة في عدد معلمي العربية بالمدارس الدولية وتخصيص نصف الوقت الأقل للغة العربية.

*تعويض موظفي الجامع الأعظم عند بلوغهم 65 سنة من العمر، وتمكينهم من جرايات التعاقد.

ولقد اعتبر هذا البرنامج المنبثق عن المؤتمر الزيتوني، برنامجا طموحا حيث أنه يطالب ويقترح تحوير التعليم الزيتوني في المرحلتين الأولى والثانية، ليصبح مماثلا للتعليم الملقن في المعاهد الرسمية التابعة لإدارة التعليم العمومي، وإصلاح التعليم العالي الزيتوني على غرار التعليم المنظم في المؤسسات الجامعية التابعة للأقطار العربية الشرقية والبلدان الأوروبية[2].

2 - موقف السلط من قضية إصلاح التعليم الزيتوني

لقد انعكست حوادث أفريل 1938 م على أشغال لجنة الإصلاح 1938 التي لم يمض على انعقادها أكثر من أسبوع، ومهما يكن من أمر فقد كانت تلك الحوادث تمثل نقلة جديدة لتصلب موقف السلط الاستعمارية التي ضبطت من قبل برنامج عمل لمعارضة "تجاوز" الحركة الزيتونية ومن الطبيعي أن يرسم المقيم العام بنفسه الاتجاه العام للنقاش خلال افتتاح لجنة الإصلاح في 04 أفريل 1938 م، فقد صرح « أن

[1] مختار العياشي: البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص 61.

[2] مختار العياشي: الزيتونية و الزيتونيين، المرجع السابق، ص 115.

جامع الزيتونة يبقى معهدا دينيا ولا يمكن أن يكون جامعة قومية تونسية، وذلك بمقتضى القانون الأساسي الذي يضبط حدود التعليم الزيتوني، وبالنظر إلى ضرورة إبقاء تلك المؤسسة منفصلة عن الدولة وعن سياستها الوظيفية، حرصا على المحافظة على استقلالية الثقافة الروحية السامية »[1].

3 - مناقشات ونتائج لجنة إصلاحا سنة 1938م

وبناء على ذلك فإن **لجنة إصلاحات 1938م** كانت مكلفة من حيث المبدأ بالنظر في المسائل المدرجة في جدول الأعمال لتالية:

- **ضبط النظام الأساسي للجامع** بتحويل الفصول المتعلقة بالمسائل الآتية (نوعية الدروس التي يلقيها مدرسو الطبقة الأولى وأساتذته المرتبة العليا - تخصص الطلبة (شعبة الشريعة والآداب) - الاختبارات الكتابية في الامتحانات - شروط حصول مدرسي الطبقة الأولى على شهادة العالمية.

- **مطالب هيئة التدريس:** المتعلقة بمراتبهم وإلحاقهم بالوظيفية العمومية مع كل ما يترتب من ذلك من مزايا.

- **المطالب الطلابية:** المتمثلة في إعادة تنظيم برامج التعليم وامتيازات الشهادات الزيتونية وتحسين ظروف الطلبة المادية والتعليم العصري للدروس في الفروع الموجودة داخل البلاد. وقد قررت هذه اللجنة في اختتام الجلسات عدم النظر في المسائل المنصوص عليها من قبل في نظام جامع الزيتونة الأساسي بمعنى تحديد أغلبية مطالب الطلبة، وبالرغم من الاقتراحات المعتدلة للغاية التي قدمتها تلك اللجنة فإن السلط كانت منشغلة البال وترى أن مسألة مصلحة الزيتونة على غاية من الخطورة ولا يمكن أبدا تسويتها على الوجه المرضي[2].

[1] خير الدين شتره: ج2، المرجع السابق، ص 745.

[2] مختار العياشي: الزيتونة و الزيتونيين، المرجع السابق، ص 120.

لقد أعدت سلطة الحماية مشروع قانون يرمي إلى إبعاد جامع الزيتونة عن حظيرة أجهزة الدولة، وينص بالخصوص على ما يلي: " بعد الاطلاع على التقارير المقدمة إلى اللجنة المجتمعة في 04 أفريل 1938 م لدرس الإصلاحات المزمع إدخالها على نظام التعليم بالجامع الأعظم، وحيث أنه ينبغي قبل انتظار تحقيق الإصلاحات المتعلقة بالانضباط ونظام التعليم في تلك المؤسسة. تحديد القانون الأساسي بالجامعة الزيتونية حتى يكون أعضاءها مؤهلين لإدارة ممتلكاتها والتصرف في مداخلها"[1].

وخلاصة القول تكمن في كون الإصلاحات التي عرفتها الفترة الممتدة ما بين (1912 – 1938م) كانت في ظاهرها خيرا عميما، لكن المواقف المبطنة للمدرسين المحافظين وكل من حكومة الباي، وسلطة الحماية حالت دون العمل على تنفيذ البرنامج المتفق عليه، رغم مطالبة الطلبة بإدخال تغييرات جوهرية، لكن ذلك كان يقابل بالمماطلة لإبقاء التعليم الزيتوني تعليما متخلفا، وغير مواكب للعصرنة والاحتياجات الراهنة.

[1] **المادة الأولى:** تتمتع الجامعة الزيتونية بتونس بالشخصية المدنية لتتولى بصورة مستقلة إدارة الموارد المتوفرة لدى معاهد الثقافة الإسلامية التابعة لها.

المادة الثانية: لقد أنشئ لهذا الغرض مجلس إدارة يتركب من الشيخ مدير الجامع الأعظم ومن عدد من رجال التعليم وأعضاء المجلس الشرعي.

المادة الثالثة: تتمثل ميزانية نفقات الجامعة الزيتونية وجوبا على مخصصات المدرسين ومرتبات الموظفين الإداريين ونفقات المعدات اللازمة لسير مدارس سكنى الطلبة والمنح العادية المسندة إلى الطلبة، أنظر المختار العياشي، الزيتونه و الزيتونيين، المرجع السابق، ص 126.

الخاتمة

– إن الإصلاحات التي عرفتها الزيتونة، وهي محل الدراسة كانت منذ سنة 1842م حين أقدم الأمير أحمد باي بمقتضى الأمر العلى المؤرخ 26 نوفمبر من نفس السنة، وبعد ذلك التاريخ وعلى وجه التحديد 1876م، أي بعد سنة واحدة من تأسيس المدرسة الصادقية بعناية الوزير المصلح خير الدين باشا، حيث اصدر من خلال الأمر المؤرخ في 27 يناير 1876م، الذي أعطى دفعا جديدا للتعليم في جوانبه من علوم شرعية، وقانونية وسياسية وأدبية، لكن ذلك الأمر بقي حبرا على الورق بالنسبة إلى تدريس العلوم العصرية، التي أراد خير الدين باشا إقحامها في برامج التعليم الزيتوني، ذلك بسبب معارضة بعض الشيوخ الذين كانوا يرون فيه من البدعة.

– إن عملية التجديد الفكري في الجامع الأعظم بدأت تتسرب عن طريق المؤسسة الخلدونية، التي أنشئت سنة 1896م، وبالأفواج الأولى المتخرجة من العهد الصادقي، حيث لعبت هذه الجمعية، التي تعد الفرع العصري للزيتونة دور المحرك في تكوين وعي طلابي، ثم حركة طلابية زيتونية، جعلت من مسالة إصلاح المناهج الدراسية ومن تحديث هذه المؤسسة، ولقد كان موقف حكومة الحماية المساند للجماعة المحافظة من علماء الدين، هو إبقاء الأوضاع العامة على حالها لما يخدم مصالحها الاحتلالية من خلال التخلف المهيمن على مؤسسات التعليم دون عصر نيتها، ومواكبتها للتطور والحادثة، خاصة في أوربا.

– وكانت تركيبة لجان الإصلاح عبارة عن خلايا أزمات تُدعى للاجتماع كلما وجدت حملة مساندة للمطالب الطلابية، وكان مجمل أعضائها في كل مرة مهيمن عن عدد الإصلاحيين للتصدي، والوقوف في وجه الإصلاح، وهم جماعة شيخ الإسلام الحنفي أحمد ببرم، هذا المفكر المحافظ الذي اشتهر بتطرفه في معاداته لإدخال أي إصلاح داخل المؤسسة الزيتونية.

– و كان غرض سلطات الحماية اهام الرأي العام بالحياد تجاه المسالة العقائدية، لكن حسب وجهات النظر التي يمثلها الاتجاه الإصلاحي يعتبر هذه المسالة، مسالة مصيرية في رفع تحدي التقدم الواجب رفعه من خلال مناهج جامع الزيتونة، لكن قلة عددهم في اللجان الساهرة على الإصلاحات حال دون ذلك .

– وكانت اجتماعات لجان الإصلاح المكونة من قضاة ومفتيين ومندوبي الحكومة، وممثلي سلطة الحماية ومستشاريها لا تضم، إلا قلة من المدرسين الزيتونيين، هذا النوع من تركيبة لجان الإصلاح من شأنه أن يبرئ سلطات الحماية من موضوع الإصلاح إزاء الرأي العام، وتتحول في كل مرة مداولات هذه الجماعة إلى خصام عبر الجرائد والصحف، مما أبقى على شكلية الإصلاح، دون العمل على ترسيخ مناهجها القومية الخادمة لمسار التعليم بالزيتونة.

الملاحق

الملحق رقم 01 : رسم تخطيطي يوضح موقع الجامع الأعظم بتونس[1].

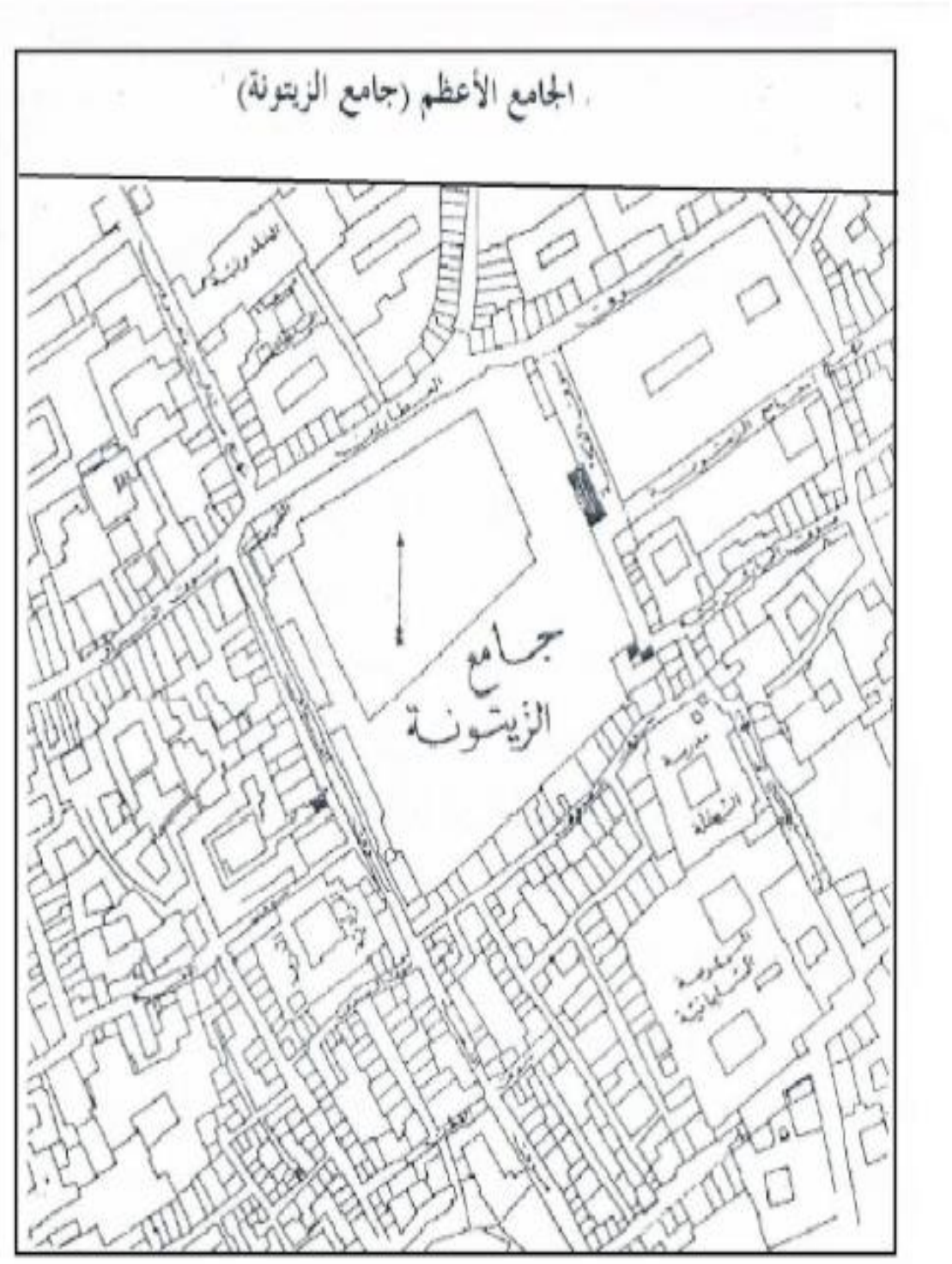

1 خير الدين شتره : **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة**، 1956، الفهارس و الملاحق، ج3، د ط، دار البصائر، 2009، ص 105.

الملحق رقم 02: صورة للجامع الأعظم (الزيتونة) بتونس[1].

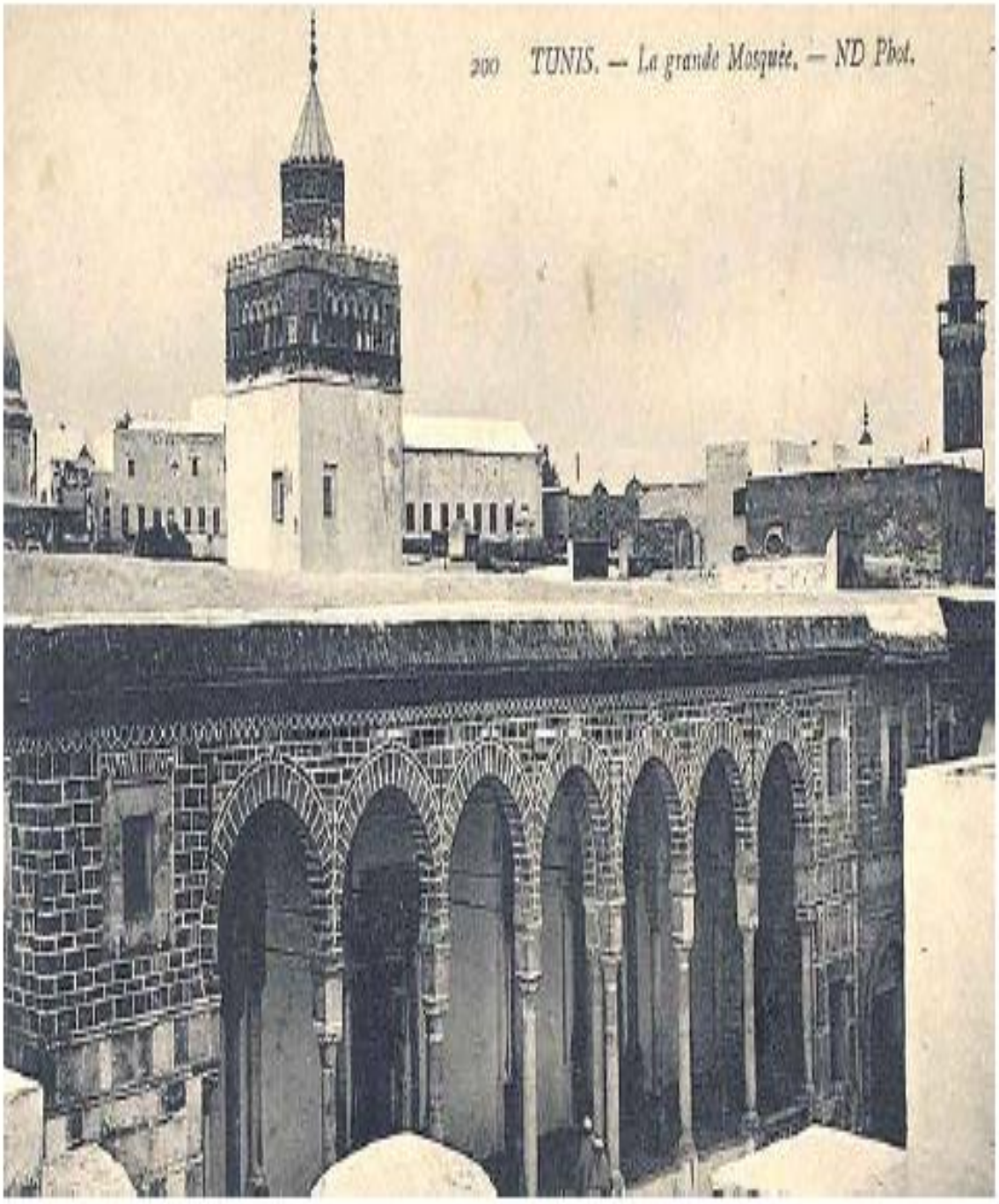

[1] موسوعة ويكيبيديا الحرة : " أرشيف لصورة جامع الزيتونة "، الرابط www.wikipedia.com، يوم 10 ماي 2019، الساعة 10 : صباحا

الملحق رقم 03: صورة للجامع الأعظم (الزيتونة) بتونس[1].

[1] فاطمة مناد و أحلام غازي : المرجع السابق، ص 87.

الملحق رقم 04: البرنامج التعليمي في المرحلة الأولى[1]:

المواد	الكتب والعناوين
القراءة والتجويد	شرح القاضي على الجزرية لشمس الدين الجزري، شرح الباجوري على الجوهرة ، الدرر واللوامع لابن بري بشرح المارغني .
التوحيد	الصغرى وشرح الباجوري على الجوهرة .
أصول الفقه	الحطاب على الورقات.
الفقه	متن القدوري، نظم الشيخ حسن الصغير بشرحه ، كفاية الغلام ، شرح أبي الحسن على الرسالة، سيدي عبد الباقي على العزية ميارة الصغير علي بن عاشر.
الرسم	عنوان النجابة في علم الكتابة.
البيان	شرح الدمنهوري على السمرقندية، شرح الملوي عليها.
المنطق	الشرح الجربي على ايساغوجي، الشرح البيرمي عليه، شرح الملوي على السلم.
الحساب و الجبر	الأول و الثاني و الثالث، دروس شفيق الحسابية
الصرف	شرح ابن ناظم على لامية الأفعال، السعد علي الزنجاني

1 محمد بوطيبي : **دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900 – 1930**، رسالة لنيل شهادة الماستر، اشراف بوعزة بوضرساية، التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2007–2008، ص ص، 33، 34.

الملحق رقم 05: البرنامج التعليمي في المرحلة المتوسطة[1]:

المواد	العناوين
الحديث	شرح الشبر خيتي على الأربعين النووية، شرح القاني عليها، الشمائل بشرح المناوي أو بشرح الباجوري.
السير	الهمزية بشرح الجمل.
التوحيد	الوسطى للشيخ السنوسي، وسيدي عبد السلام على الجوهرة، شرح ابن أبي الشريف على مسايرة ابن الهمام .
القراءات	الشاطبية بشرح ابن القاصح
المصطلح	الفقيه العراقي بشرح القاضي .
أصول الفقه	المرآة على المرقاة، شرح المنازل لابن مالك (ابن فرتشة) ، الشرح البيرمي على مختصر المنار ، شرح التنقيح للقرافي، ألفية ابن عاصم في الأصول.
الفقه	الدر المختار برد المحتار، شرح الوفاية لصدر الشريعة المنظومة الحبية ، المختصر بشرح الدردير، التودي على العاصمية ، ميارة على لامية الزقاق .
الفرائض	السيد علي السراجية ، الشنشوري على الرحبية ، شرح الدرية للشيخ ابن ملوكة أو بشرح مؤلفها .
التصوف وآداب الشريعة	الحكم بشرح ابن عباد ، الطريقة المحمدية، النخبة العليا .
الميقات	منظومة ابن غانم في العمل بالربع المجيب ، رسالة سبط المارديني .
المعاني والبيان	التلخيص بشرح مختصر السعيد ، العصام على السمرقندية ،شرح

1 خالد أحمد: أضواء من البيئة التونسية، طاهر حداد و نضال جيل، ط 2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977م، ص ص، 27 – 30.

	السمرقندية على رسالة الوضع .
اللغة والأدب	مقامات الحريري ، العمدة لابن رشيق ، المعلقات السبع ، شرح ابن هشام على قصيدة بانت سعاد، البردة بشرح ابن عاشور أو الجامي .
التاريخ والجغرافيا	نبذة من تاريخ الإسلام وتاريخ تونس ، رقم الحلل في نظام الدول .
الرسم والخط	المطالع النصرية ، ابن عاشور على نظم الحراز ، شرح المارغيني على مورد الظمآن في رسم الصحف .
العروض	الكافي بشرح الدمنهوري .
المنطق	شرح الخبيصي على التهذيب ، شرح مختصر الشيخ السنوسي .
آداب البحث	من لا حنفى على العضدية ، مسعود الرومي على السمرقندية ، القوانين لسلجقي زاده .
الحساب	النخبة الحسابية ، القلصادي ، الرابع من الدروس الحسابية لشفيق .
الصرف	دنقوز على المراح ، الكافية بالشرح .
النحو	الاشموني على الألفية ، ابن عقيل عليها ، التوضيح لابن هشام بشرح التصريح

الملحق رقم 06: المواد التي يدرسها طلبة جامع الزيتونة في الأطوار التعليمية الثلاثة[1]:

الأهلية	التأهيل (التطويع)	العالمية
عقيدة	عقيدة	تفسير
تلاوة قرآنية	حديث	علم التربية
حديث	قانون	حديث
قانون	ميراث	عقيدة
ميراث	تربية خلقية	منهجية قانونية
تربية خلقية	سيرة نبوية	تشريع
نحو	نحو	أحكام شرعية
بناء لغوي	بلاغة	نحو
(مورفولوجيا)	عروض	بلاغة
بلاغة	علم مفردات اللغة	علم مفردات اللغة
أدب	أدب	أدب
كتابة	منطق وفن الجدل	تاريخ
إملاء	تاريخ عام	
حساب	حساب	
هندسة	علم الفلك وعلم التوقيت	
تاريخ	هندسة	
جغرافيا	ثقافة عامة	
نظافة		
ثقافة عامة		

1 فاطمة مناد، أحلام غازي : المرجع السابق: ص 32.

الملحق رقم 07: مجموعة للكتب المقررة في النظام الدراسي بجامع الزيتونة[1]:

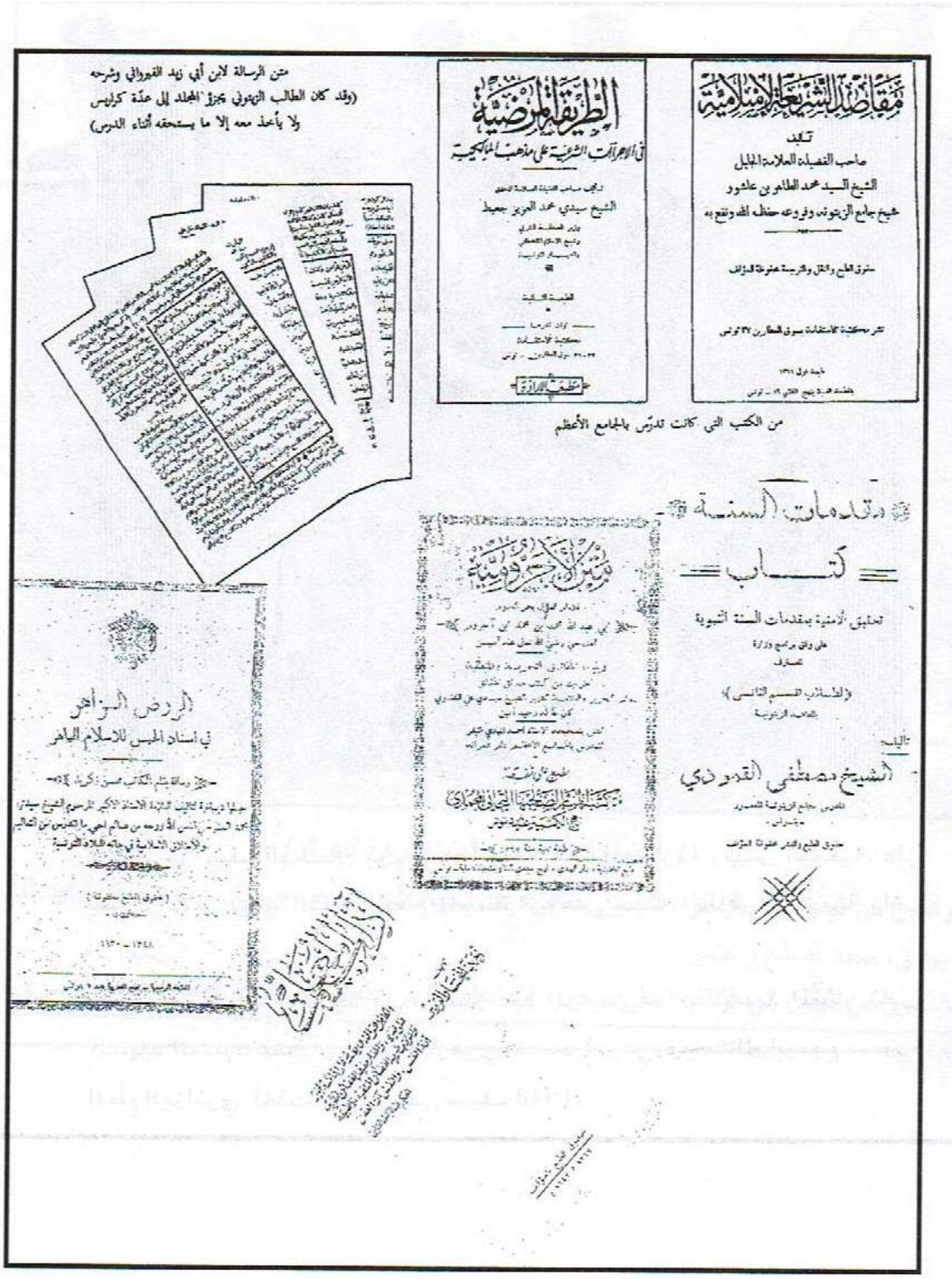

1 خير الدين شتره، ج3، المرجع السابق، ص 278.

الملحق رقم 08: نماذج لدفاتر الشهادات الخاصة بتلامذة الجامع الأعظم[1]:

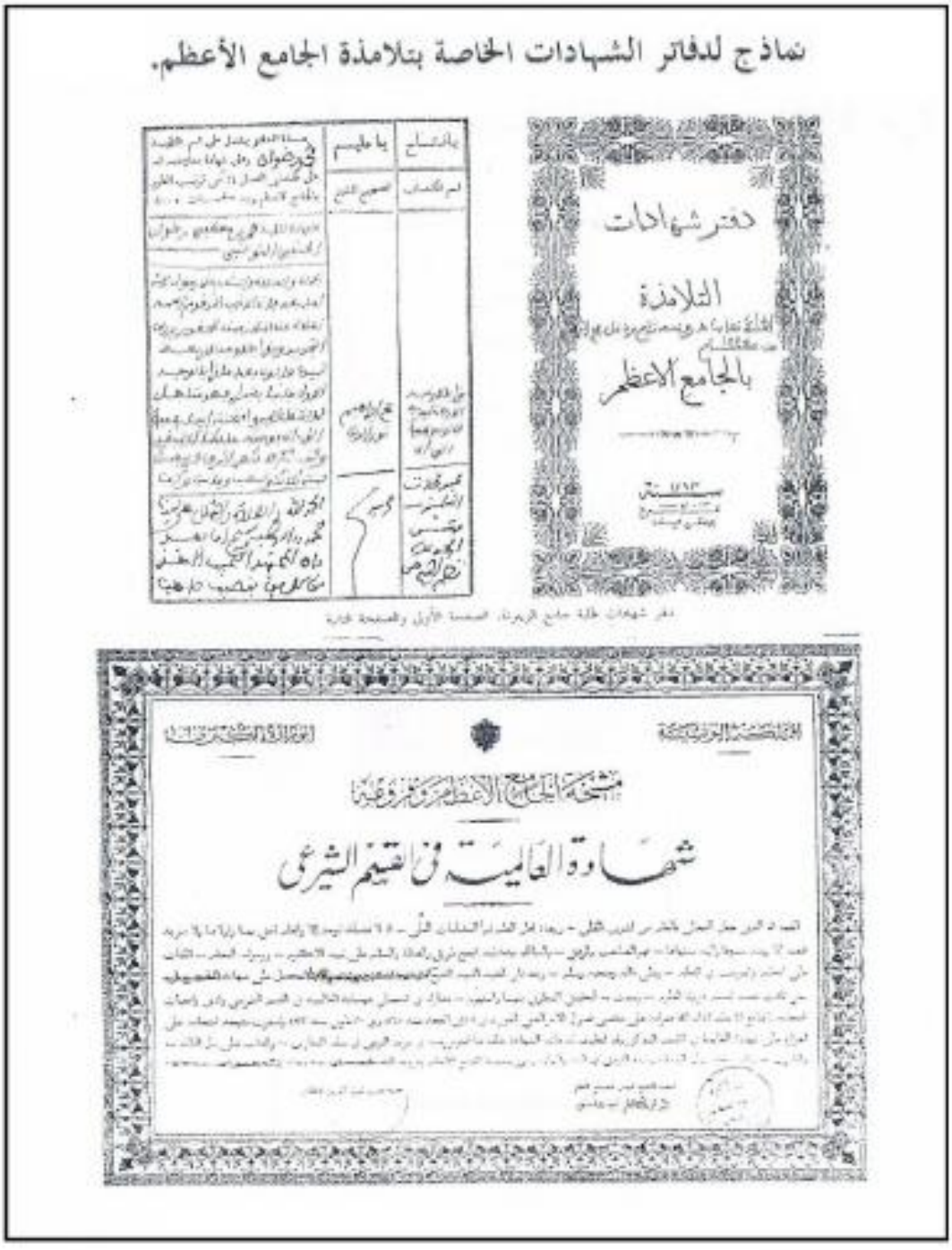

1 خير الدين شتره، ج3، المرجع السابق، ص 175.

الملحق رقم 09: – صور أرشيفية لبعض المشايخ و العلماء عند استقبال محمد عبده 1902م[1].

– صورة أرشيفية لبعض شيوخ و علماء الزيتونة

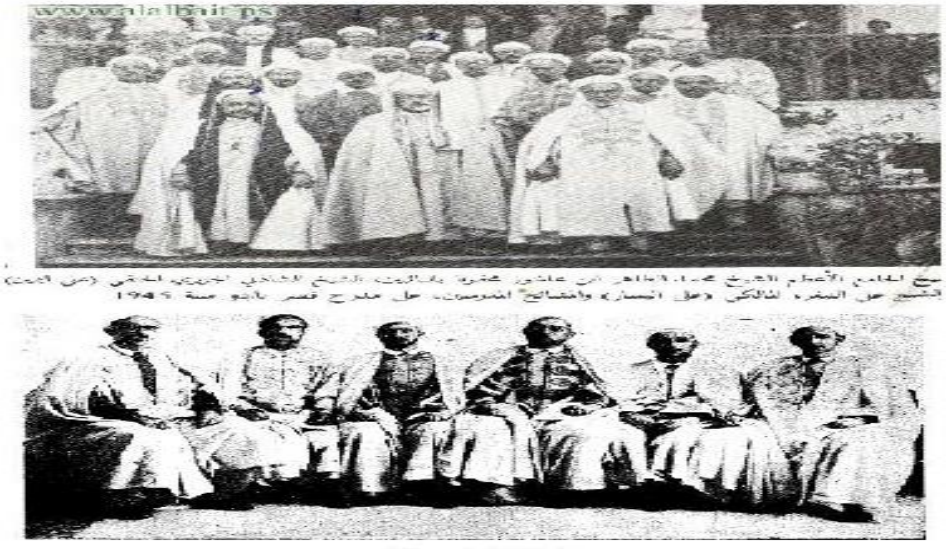

1 عبد القادر جيري و معمر ناصري: الجزائريون الزيتونيون و اسهامهم في الحركة الوطنية، 1900 – 1954، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، إشراف أبوبكر حفظ الله، قسم التاريخ و علم الآثار، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة العربي التبسي، تبسة، السنة الجامعية: 2016/2015، ص ص 124، 125.

الملحق رقم 10: نظام التعليم بالجامع الأعظم وفروعه اعتبارا من سنة 1929[1]:

درجات التعليم	عدد السنوات	الشهادات
الدرجة العليا شعبة الشريعة شعبة الآداب شعبة القراءات	**3 سنوات**	**العالمية** (مستوى الإجازة)
الدرجة المتوسطة (المرحلة الثانية من التعليم الثانوي)	**3 سنوات**	**التطويع ثم التحصيل** (مستوى الباكالوريا)
الدرجة الابتدائية (المرحلة الأولى من التعليم الثانوي)	**4 سنوات**	**الأهلية** (مستوى شهادة المرحلة الأولى من التعليم الثانوي)

1 مختار العياشي: الزيتونة، المرجع السابق، ص 424.

الملحق رقم 11: نظام التعليم الزيتوني (بالجامع الأعظم وفروعه وبالكتاتيب ابتداء من1929)[1].

علـيم ملقـن مـن طــرف أســاتذة التعلــيم العــالي بإعانة مساعدين مـــن مدرســـي الطبقة الأولى *** (تعلـيم عــال 3 سنوات)	تعلـيم ملقـن مـن طــرف مدرســين من الطبقة الأولى *** (تعلــيم متوســط يعــادل المرحلــة الثانية من التعليم الثـــــــانوي 3 سنوات)	تعلـيم ملقـن مـن طــرف مدرســين من الطبقة الثانية *** تعليم متوسط أو ابتـــدائي عـــال (المرحلـة الأولـى من التعليم الثانوي 4 سنوات)	تعلــيم ملقـــن فـــي الفروع الزيتونية *** تعلــيم ملقـــن مـــن طـرف مدرسين من الطبقـــة الثالثـــة (معلمين) أو أساتذة معــاونين محــرزين علـــى التطويـــع أو التحصيل(4 سنوات)	تعلـيم ملقـن فـي الكتاتيب *** تعلـيم ملقـن مـن طـــرف شـــيوخ محـــرزين علـــى التطويـــــع أو التحصـــــيل أو على الأهلية((3سنوات)

شهادة العالمية (مستوى الإجازة) :

- شعبة القراءات والترتيل .
- شعبة الشريعة .
- شعبة الآداب العربية .

شهادات التطويع أو التحصيل (مستوى شهادة الباكالوريا)

منذ سنة 1944 أصبح في هذا المستوى من التعليم شعبتان :

- الشعبة العلمية
- شعبة القراءات والترتيل .

شعبة الأهلية (مستوى شهادة ختم دروس المرحلة الأولى)

- مستوى الشهادة الابتدائية أو امتحان الدخول إلى السنة الأولى من التعليم الثانوي
- التلامذة الصغار الملتحقون بالتعليم في معدل سن الخامسة أو السادسة من العمر

[1] نفسه، 425.

المحلق رقم 12: برامج التعليم بجامع الزيتونة (حسب إصلاح سنة 1933)[1]

الدرجة العليا:

التوحيد – القراءات – التفسير – الحديث – أصول الفقه – الفقه – تاريخ التشريع – الإجراءات الشرعية – النحو – البلاغة – صناعة التعليم – المصطلح – مقاصد الشريعة – الإنشاء – الخطابة – نقد الشعر – المنتخبات العربية – تاريخ الأدب.

الدرجة المتوسطة :

القراءات – التفسير – الحديث – أصول الفقه – الفرائض – التوثيق – الاقضية والشهادات – الإجراءات الشرعية – النحو – الصرف – البلاغة – العروض – اللغة والأدب – الخط – المنطق – آداب البحث – السيرة النبوية – التاريخ – الحساب والجبر – الهندسة والمساحة – الهيئة والميقات – صناعة التعليم – المصطلح – الإنشاء – تاريخ الأدب .

الدرجة العليا :

التوحيد – القراءات – الحديث – الفقه – الفرائض – النحو – الصرف – البلاغة – الخط – الرسم – الأخلاق – المنطق – الجغرافيا – الحساب والجبر – الهندسة والمساحة – حفظ الصحة – الإنشاء – المنتخبات العربية .

1 نفسه، ص 426.

الملحق رقم 13: العقوبات الفرنسية في حق الطلبة الذين قاموا بالإضرابات[1]:

نوع العقوبة	السنة	عدد الموقوفين	سبب العقوبة	المنطقة المرحل لها
الطرد من الجامع الأعظم والإقامة 15 يوما 4 طلاب.	1934 م	7 تونسيين + بعض الطلبة الجزائريين والمغاربة	القيام بأنشطة دستورية في سبتمبر 1934 ، تكوين شعبة دستورية تورط في حوادث 1929 .	
الطرد من الجامع الأعظم والسكن و إقامة أحكام سجن (3- 10) أشهر + غرامة مالية الإقامة الجبرية وحضر الإقامة في بعض المناطق المعرضة لرقابة .	1936 م	66 طالب تونسي 20 طالب جزائري تم طردهم .	أثارة الشغب في الجامع في فقصة والقيروان ، القيام بنشاط في الحزب الدستوري التحريض عن الإضراب عن الدستور والعصيان ، القيام بمظاهرة في الطريق العام بقفصه	المناطق الداخلية والساحلية ما عدا طالب جزائري واحد
الطرد من الجامع الأعظم وسكن الطلبة . الإقامة الجبرية والمراقبة الإدارية.	1937 م	22 طالب تونسي متهم 3 جزائريين في مارس، 2 في أفريل، 17 في ماي	تكوين لجان طالبة، التحريض على الإضراب عن الدروس، اثارة الشغب ، تحرير لائحة أمضاها سكان الكاف، تكوين جمعية غير معترف بها .	المناطق الداخلية والساحلية

1 رابح فلاحي، المرجع السابق، ص 42.

الملحق رقم 14: المؤتمر الزيتوني الأول 1937[1]

المطالب الاستعجالية

القسم الأول (التعليم): وهو يشتمل على ثلاثة عشر فصلا

1 – اعتبار الفروع بالأفاق كفروع الحاضرة من جعل مدرسيها كمدرسي الحاضرة ، وكذلك بقية الموظفين بها .

2 – زيادة فروع لدراسة الدرجة الأولى من التعليم الثانوي إلى « شهادة الأهلية » بسائر مراكز العمال وزيادة فروع لدراسة درجتي التعليم الثانوي أي إلى شهادة « التحصيل » في المراكز المبينة بتقرير لجنة الإصلاح من لجان المؤتمر .

3 – المبادرة بجعل العلوم الرياضية علوما أصلية كما في الفصل (23) من تقرير لجنة إصلاح التعليم .

4– إحداث مدارس للعلوم الرياضية بجانب فروع الكلية كما هو مبين في تقرير لجنة الإصلاح.

5 – جلب أساتذة لتعليم العلوم الرياضية بصفة مفيدة مثمرة متعددين مسلمين وتقديم الزيتوني على غيره .

6 – إحداث خطة المتفقد في عدد كاف للقيام بمهمة التفقد بالكلية وفروعها.

7 – حرية المشاركة لكل مسلم في امتحانات الرتب (اختبارات) أو الشهائد بالكلية وفروعها.

1 محمد ضيف الله: المرجع السابق، ص ص 326 – 238

8 – تطبيق ما طلبناه في تقرير لجنة الإصلاح مما يتعلق بالامتحانات والاختبارات.

9 – ليس لأحد أن يعلم أبناء المسلمين بالكلية وفروعها إلا بعد اجتياز مناظرة.

10 – اعتبار شهادة « التحصيل » شهادة ثانوية عالمية تمكن صاحبها من الالتحاق بالكليات متى حذف لغة الكلية التي يقصدها.

11 – إسقاط السنتين المشترطين في الفصل (100) من قانون الإصلاح على من أحرز العالمية في الأدبي أو الشرعي ، و أراد المشاركة في المناظرة .

12 – تطبيق الفصل (240) من قانون الإصلاح الذي ينص على انتخاب أربعة من حاملي شهادة « التطويع » أو« العالمية » بالمناظرة للقيام بالتعليم عوض المتخلفين من المدرسين

13– إرسال بعثات من الزيتونيين بالمناظرة إلى الشرق والغرب .

القسم الثاني (الصحة) : وهو يشتمل على فصول أربعة :

1 – إيجاد مدارس لسكنى الطلبة حذو الفروع بالآفاق كما في العاصمة .

2 – الإسراع بإيجاد محلات لإيواء الطالب بثمن زهيد في الهواء النقي حتى تبني الحكومة المدارس المطلوبة بالمحاضرة أو الآفاق .

3 – الإسراع بإيجاد مطاعم لعموم الطلبة المسلمين من المدارس كانوا أو من الكلية الزيتونية وفروعها ، تزودهم بالنافع من الطعام بثمن زهيد.

4 – تخصيص محل لتمريض الطلبة بإحدى المستشفيات بالحاضرة أو الآفاق.

5 – إيجاد أطباء في عدد كاف لمباشرة الطلبة بالحاضرة أو الآفاق للساكنين بالمدارس أو الديار، نعم يكون الطبيب لسكان المدارس تحت طلب ناظر المدرسة.

6 – إيجاد أطباء مهمتهم مراقبة الصحة بالمدارس كانت بالحاضرة أو الآفاق.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1. بن أبي الضياف أحمد: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان** ،ج2، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس.
2. بن الخوجة محمد: **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد**، تح، تق، الجيلاني بن الحاج يحي وحمادي الساحلي دار الغرب الاسلامي، بيروت 1985.
3. بن عاشور محمد الطاهر: **أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الاسلامي**، ط3، دار سحنون، تونس، 2010.
4. الثعالبي عبد العزيز: **تونس الشهيدة**، تر سامي الجندي، ط1، دار القدس، بيروت: لبنان، 1975 م.
5. الثعالبي عبد العزيز: **تونس الشهيدة**، تع حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1984.
6. الحداد الطاهر: **التعليم الاسلامي وحركة الاصلاح في جامع الزيتونة**، تق وتح محمد أنور بوسنينة، الدار التونسية للنشر، تونس 1981.
7. الرويس محمد الطاهر: **ذكريات طالب زيتوني**، تق، تن، د، منير رويس، ط 1، مكتبة تونس، 2015.
8. شارل أندري جوليان: **المعمرون الفرنسيون وحركة الشبان التونسيين**، تعريب محمد مزالي، تونس.

ثانيا: المراجع:

1. ابن عاشور محمد العزير: **جامع الزيتونة المعلم ورجاله**، د ط، دار سراس ، تونس، 1991.

2. ابن عاشور محمد الفاضل: **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، الدار التونسية للنشر، 1983.
3. أبو حمدان سمير: **موسوعة عصر النهضة خير الدين التونسي**، د ط، دار الكتاب، توني، 1993.
4. بن منصور الصجى: **الزيتونة التاريخ وهامشه، قراءة تفكيكية في الظاهرة الزيتونية من النشأة إلى الإصلاح**، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، مجمع الأطرش المختص، 2016.
5. بن يوسف عادل: **النخبة العصرية التونسية، (طلبة الجامعات الفرنسية)**، تونس، دار الميزان، 2006
6. الحسيني علي الرضا: **موسوعة الاعمال الكاملة للامام محمد الخضر حسين – تونس وجامع الزيتونة**، ط1 دار النوادر، بيروت، لبنان، 2010.
7. حمادي الساحلي: **فصول في التاريخ والحضارة**، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، 1992.
8. خالد أحمد: **أضواء من البيئة التونسية**، طاهر حداد و نضال جيل، ط 2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977م.
9. خرفي صالح: **عبد العزيز الثعالبي من آثاره في المشرق والمغرب**، ط 1، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 1995
10. الزملي الصادق ، **اعلام تونسيون**، تق، حمادي الساحلي، ط1، دار العرب الاسلامي، بيروت، 1986.
11. الزيدي علي: **الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904– 1945م** ط1 دار النهى صفاقس، مكتب علاء الدين، 2007 مارس

12. شترة خير الدين: **الطلبة الجزائريون في جامع الزيتونة 1900-1956، الروابط الحضرية بين القطرين و أثر الجامع الأعظم في الوعي الجزائري**، ج 1، د ط، دار البصائر، الجزائر، 2009.

13. شتره خير الدين: **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، 1900-1956،الفهارس و الملاحق**، ج3، د ط، دار البصائر، 2009.

14. شتره خير الدين: **الطلبة الجزائريون في جامع الزيتونة، 1900-1956، البعد العربي الإسلامي في نضال النخبة الجزائرية الزيتونية**، ج2، د ط، دار البصائر، الجزائر، 2009.

15. شمام محمد: **من أعلام الزيتونة:** تونس، الشركة التونسية لفنون الرسم، 1996.

16. ضيف الله محمد: **الحركة الطالبية التونسية (1927 – 1937)**، ط1، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي، تونس 1999م.

17. عبد السلام أحمد: **مواقف اصلاحية في تونس قبل الحماية**، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986 م.

18. العياشي مختار: **البيئة الزيتونية 1910 – 1945، مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلامية**، تع حمادي الساحلي، ط 1، دار التركي للنشر، تونس، 1990.

19. العياشي مختار: **الزيتونة و الزيتونيين في تاريخ تونس المعاصر، 1983 – 1958**، د ط، مركز النشر الجامعي للجامعة التونسية، تونس، 2003.

20. الغالي بلقاسم: **شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور- حياته وآثاره**، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان 1417هـ/1996م.

21. القصاب أحمد ، **تاريخ تونس المعاصر (1881 م – 1956م)**، تع: حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، 1986م.

22. اللولب حبيب حسن: **أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر**، د ط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص 123.

23. المالكي محمد ، **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، ط1، مركز دراسات الوحدة المغربية، بيروت، 1999.

24. يحي جلال: **المغرب العربي الكبير وحركات التحرر و الإستقلال، ج4 (الفترة المعاصرة)**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

1. البرهومي عدنان: **الظروف المادية والأدبية للكتب الزيتوني ـ (1881 ـ 1961)** (رسالة ماجستير تخصص تاريخ) بجامعة الزيتونة بتونس، إشراف الأستاذ : مختار العياشي، السنة الجامعية 2004 / 2005 م.

2. بن سعد القرني محمد: **الامام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير** (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، اشراف د محمد ولد سيدي ولد حبيب، كلية الدعوة والأصول، جامعة أم القرة، السعودية) 1427.

3. بوطيبي محمد: **دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900 – 1930**، (رسالة لنيل شهادة الماستر، اشراف بوعزة بوضرساية، التاريخ الحديث و المعاصر)، جامعة الجزائر، 2007–2008.

4. جيري عبد القادر و معمر ناصري: **الجزائريون الزيتونيون و اسهامهم في الحركة الوطنية، 1900 – 1954**، (مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر)، إشراف أبوبكر حفظ الله، قسم التاريخ و علم الآثار، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة العربي التبسي، تبسة، السنة الجامعية: 2016/2015، ص ص 124، 125.

5. عدوى وحيدة ونور الهدى زرايجي : **الطاهر الحداد رائد الاصلاح في النصف الاول من القرن 20**، (رسالة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر)، اشراف

جمال بولعبايز قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد مهري، السنة الجامعية 2018/2017

6. فلاحي رابح: **جامع الزيتونة والحركة الاصلاحية في الجزائر (1908 – 1954)**، (رسالة شهادة الماجيستر، اشراف عبد الكريم بوصفصاف في التاريخ الحديث والمعاصر)، جامعة منتوري قسنطينة، 2007 – 2008.
7. قدع محمد العيد ، هزبري عبد الرزاق : **الجهود التعليمية للشيخين محمد الطاهر إبن عاشور وعبد الحميد إبن باديس "دراسة مقارنة"**، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الحديث والمعاصر)، إشراف د/محمد السعيد عقيّب، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية – جامعة الوادي – السنة الجامعية 2013م–2014م
8. معزة عز الدين ، **فرحات عباس والحبيب بورقيبة "دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899م–2000م**، (أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث المعاصر)، إشراف د/عبد الكريم صفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة 2009م–2010م".
9. مناد فاطمة وغازي أحلام: **جامع الزيتونة ودوره التعليمي والسياسي**، (مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ)، اشرف عبد الرحمان التونسي، قسم العلوم الإنسانية، كليه العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلاني بونعامة، خميس مليانة، 2016/2015.
10. نويري وسام: **دور الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم بتونس 1879م–1973م** (مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ العالم المعاصر)، إشراف منى صالحي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، السنة الجامعية 2015م–2016م.

ربعا: المجلات و الجرائد و الملتقيات:

1. بن الخوجة محمد: صفحات من تاريخ تونس، كيف نشأت خزائن الكتب لدراسة العلوم بجامع الزيتونة المعمور، ج2، **المجلة الزيتونية**، ج3 تونس، نوفمبر 1936، مج 1.
2. بن عاشور محمد الفاضل: "الشيخ محمد السنوسي، **المجلة الزيتونية** ج3، مجلد 8
3. بن محمود محمد المختار: جامع الزيتونة من أقدم الكليات، **المجلة الزيتونية**، المطبعة التونسية، مج 2، ج2، ع57 نوفمبر 1937، تونس.
4. التميمي عبد الجليل: محاضر جلسات اصلاح التعليم الزيتوني سنة 1924–1925، **المجلة التاريخية المغربية** ع 21–22 افريل 1981.
5. الزيدي علي: الوضع العام بالتعليم الزيتوني حتى اصلاح 1951، **المجلة التاريخية المغربية** ع 33، 34 جوان 1984.
6. الزيدي علي: حركة إصلاح تعليم لجامع الزيتونة منذ نشأتها حتى لجنة صوت الطالب الزيتونة، **المجلة التاريخية المغاربية**، ع 35– 36، ديسمبر، 1984.
7. الشنوفي المنصف: مصادر عن رحلتي الأستاذ محمد عبده إلى تونس، **مجلة حوليات الجامعة التونسية**، ع3، 1966م.
8. الشواشي سليمان: (الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وبرنامجه الإصلاحي للتعليم بجامع الزيتونة)، **مجلة الهداية**، تصدر كل 3 أشهر، العدد 195، أكتوبر نوفمبر ديسمبر 2015، مطبعة أوزيس للطباعة نهج المملكة السعودية 1002، تونس.
9. عبد السلام أحمد: "**جمعية قدماء الصادقية**"، الصادقية، ع2، تونس، أفريل 1996م.
10. العلوي فلاح محمد: **الزيتونة الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي**، (تونس 5 و6 ماي2002) ، أعمال الندوة الدولية الحادي عشر، ط2، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2006.

11. الغابري عبد الباسط: **المؤسسة الزيتونية والاصلاح**، محاضرة قدمت في ندوة المؤسسة الدينية في الاسلام، المنعقدة في تونس العاصمة بتاريخ 29 و30 نوفمبر 2014.
12. ماكن ريشارد: " لوي ماشوال والإصلاح التربوي بتونس خلال السنوات الأولى للحماية الفرنسية"، **المجلة التاريخية المغربية للمعهد الحديث والمعاصر**، ع03 جانفي 1975م، تونس.
13. ملكاوي حسن فتحي: **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الاصلاح والتحديد في الفكر الاسلامي المعاصر**، أعمال المؤتمر الدولي المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط1، الولايات المتحدة الامريكية، 2011.

خامسا: المواقع الإلكترونية:

1. موسوعة ويكيبيديا الحرة : " أرشيف لصورة جامع الزيتونة "، الرابط www.wikipedia.com، يوم 10 ماي 2019، الساعة 10 : صباحا

فهرس

الموضوعات

فهرس المحتويات	الصفحة
البسملة	
الإهداء	
الشكر و العرفان	
قائمة المختصرات	
المقدمة	9 - 13
الفصل التمهيدي : جامع الزيتونة أصول النشأة والدور الحضاري	
أولا – أصول نشأة الجامع الاعظم (الزيتونة)	15
ثانيا– الدور الحضاري لجامع الزيتونة	17
الفصل الأول: التعليم والطلبة الزيتونيين بالجامع الأعظم	
المبحث الأول: التعليم بجامع الزيتونة	22
أولا – علوم ومناهج وبرامج جامع الزيتونة	22
1– العلوم والمواد التي تدرس بالجامع الأعظم	22
أ– العلوم الوضعية	23
ب– علوم الشريعة	23
2 – مناهج وطرق التدريس بالجامع الأعظم	23
أ – طرق التدريس	24
ب – مناهج التعليم بالزيتونة	28
ج– البرامج وكتب الدراسة بالزيتونية	29
ثانيا – نظام الامتحانات وطرق التقييم	32
ثالثا – المدرسون والتلامذة	35
رابعا – إصلاح التعليم بجامع الزيتونة خلال الفترة الممتدة ما بين (1837 – 1877م)	37
الوضع التعليمي للزيتونة قبل 1837	37
أ– اصلاحات المشير الاول أحمد باي (1837–1855)	38

ب- إصلاحات خير الدين باشا (1870-1877)	**39**
المبحث الثاني: الطلبة الزيتونيين بالجامع الأعظم خلال الفترة الممتدة ما بين (1842 – 1938م)	**43**
أولا – التحولات الطارئة على الأمور التنظيمية للتلاميذ والطلبة المنتسبين لجامع الزيتونة	**43**
أ- إجراءات الالتحاق بجامع الزيتونة	**43**
ب- جرد عدد الطلبة الزيتونيين	**44**
جـ- توزيع التلاميذ والطلبة داخل الفروع المنتسبة لجامع الزيتونة	**47**
هـ- توزيع الطلبة على مختلف درجات التعلم	**48**
ثانيا – مدارس سكنى الطلبة: النشأة والتسيير	**48**
أ – نشأة وظروف العمل بها	**48**
ب – المدارس التابعة لجمعية الأوقاف	**50**
ج – المدارس الخاصة الخاضعة لمراقبة إدارة التعليم العمومي	**51**
د- إدارة وتسيير مدارس سكنى الطلبة	**52**
ثالثا – تدهور أوضاع الإيواء بمدارس سكنى الطلبة	**53**
رابعا – الوضع المادي للطلبة	**55**
الفصل الثاني: الإصلاحات بالزيتونة وردود الأفـــعال خلال المدة الممـــتدة ما بين (1881م – 1910م)	
المبحث الأول: التعليم العربي بتونس وسياسة الحماية ومشروعها الإصلاحي الأول لجامع الزيتونة (1881 – 1910م)	**58**
أولا – التعليم العربي بتونس في بداية فترة الحماية	**58**
ثانيا – سياسة فرنسا في التعليم بتونس	**62**
ثالثا- مشروع لويس ماشوال لإصلاح التعليم الزيتوني	**63**
أ- لجنة مشروع لويس ما شوال الإصلاحي	**65**
ب – نتائج أشغال لجنة مشروع لويس ماشوال	**69**

المبحث الثاني : ردود الأفعال تجاه الإصلاحات في الفترة الممتدة ما بين (1881 – 1910م)	**70**
أولا – ردود فعل العلماء المحافظين	**70**
ثانيا – دور الحركة الطلابية في بناء وعي جديد لدى مشايخ الزيتونة وطلبتها	**71**
ثالثا – إضراب طلبة جامع الزيتونة سنة 1910	**76**
الفصل الثالث إصلاح التعليم في جامع الزيتونة خلال الفترة الممتدة ما بين (1912-1938)	
المبحث الأول: اصلاح التعليم في جامع الزيتونة ما بين (1912 – 1924م)	**82**
أولا – اصلاحـــات التعليم بجامع الزيتونة سنة 1912	**82**
أ– المداولات ونتائج لجنة الإصلاح المشكلة من قبل حكومة الباي	**85**
ثانيا – إصلاح التعليم الزيتوني سنة 1924	**87**
1 – محاور المشروع	**88**
2 – نتائج مشروع دنقزلي	**91**
المبحث الثاني – إصلاح التعليم الزيتـوني في خـلال الفترة المـمتدة مـا بيـن (1930 – 1938م)	**92**
أولا – إصلاح التعليم الزيتوني في سنة 1930	**92**
1 – مشروع الطلبة الزيتونيين الإصلاحي	**96**
أ – إطار التعليم الزيتوني	**96**
ب – هياكل التعليم الزيتوني والمواد المقترحة ادخالها في برنامج التعليم حسب تصور الطلبة	**97**
ج – الامتحانات والشهادات وسائل الايضاح والطرق التدريس	**98**
2 – مداولات ونقاشات لجنة إصلاح سنة 1930م وانعكاساتها	**99**
3 – نتائج أشغال لجنة إصلاح سنة 1930م	**100**
ثانيا – إصلاح التعليم الزيتوني سنة 1938	**102**
أ – لجنة إصلاحات سنة 1938م	**105**

2 – موقف السلط من قضية إصلاح التعليم الزيتوني	**109**
3 – مناقشات ونتائج لجنة إصلاحا سنة 1938م	**110**
الخاتمة	**112**
قائمة الملاحق	**115**
قائمة المصادر و المراجع	**133**
فهرس الموضوعات	**141**